رواق القصص الرمضاني

رحلة ثرية على أعتاب سير وأخبار الأقدمين



ديوان العرب للنشر والتوزيع

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: رواق القصص الرمضاني

اســـم المؤلف: د. محمد فتحي عبد العال

التصنيف الأدبي: رحلة ثرية على أعتاب سير وأخبار الأقدمين

رقـم الإيـــــداع: 25915 / 2023

الترقيـم الدولي: 7 - 271 - 998 - 977 – 978



التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

تـصميم الغلاف: شيمـاء منـير

التنسيق الداخلي: محمد وجيـه

رقـــم الطـبـعة: الطبعة الأولـى

المديــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

رواق القصص الرمضاني

رحلة ثرية على أعتاب سير وأخبار الأقدمين

د . محمد فتحي عبد العال

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى روح أخي العزيز الأستاذ أحمد فتحي عبد العال الذي طالما حلم بأن يكون له كتاب في التاريخ يحمل اسمه... أحلام وأماني مشروعة حال بينه وبين تحقيقها المرض.

إلى روح والدتي الغالية السيدة ناريمان عبد الفتاح أحمد زردق

أهديهما هذا الكتاب وهما في دار الحق راجياً أن يكون علماً نافعاً في ميزان حسناتهما.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من عَلّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته) حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم: **3596**.

د. محمد فتحي عبد العال

****

مقدمة

في شهر رمضان دائماً ما يكون لي معه ميقات للإبحار عبر سفينة التاريخ وإذا ذكر التاريخ فلابد وأن تكون وجهتي مصر، ليس لكونها وطني، بل لأنها أرض الحضارات ومهدها، فبين دروبها وحواريها وأزقتها ومساجدها وشوارعها وسير أهلها حكايات وقصص ووقائع تستحق أن تروى.

ولأن الإلمام بكل هذه القصص غاية لا تدرك بين دفتيّ كتابي الصغير، فقد حرصت على تنوع الحكايات والمعالم بين قديم وحديث، متمنياً أن يكون عملي هذا نواة لعمل تاريخي أكبر يضم كل الآثار المصرية الإسلامية مستقبلاً.

والله من وراء القصد

د.محمد فتحي عبد العال

****

(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)

(سورة الجاثية ـ الآية 23)

"لقد أخذت مصر بالسيف فلن أتخلى عنها لأحد بشكل آخر"

(محمد علي باشا الكبير)

عمائر الأمير الكبير

أمير مملوكيّ استثنائيّ ذاع صيته بين أهالي المحروسة، وقد اجتمعت له السيادة والنفوذ والثراء الفاحش، ولِمَ لا! وقد بلغت ثروته حد أمواج البحر بحسب المقريزي في خططه.

إنه الأمير الكبير سيف الدين شيخو (أو شيخون) العمري الناصري وهو من مماليك الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحي، لذلك فقد حمل لقب (الناصري) تيمناً بذلك، أما لقبه (العمري) فكان نسبة للخواجة (عمر) تاجر الرقيق الذي باعه للناصر وذلك عرفاناً بفضله.

حظي شيخو بمكانة كبيرة لدى السلطان المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون، حيث أصبح من قادة الجند وقبلة للأمراء طلباً للشفاعة لدى السلطان في سبيل الإفراج عن المغضوب عليه منهم والإنعام على البعض الآخر، فشفع في الأمراء إخوة يلبغا وفي الأمير عز الدين طقطاي الدوادار وأخرجهما من سجن الإسكندرية..

جاءت تسمية السلطان بحاجي تيمناً من والده الناصر، إذ جاء ميلاده ووالده في طريق العودة من الحجاز بعد أداء فريضة الحج فأسماه "سيدي حاجي" نسبة إلى الحج..

تولى حاجي الحكم في مصر وهو في الخامسة عشر من عمره.

وشهدت بدايات حكمه حملة كبيرة للقضاء على الفساد الذي شاب فترة حكم أخيه الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون، والتي اتسمت بالطيش والتخبط والتهور وإطلاق أيدي حاشيته في جمع الرشاوى من الناس لإنفاذ مصالحهم كما سيطرت عليه أمه وزوجها الأمير (أرغون العلائي) ولأرغون العلائي الناصري كتاب لتعليم أيتام المسلمين لازالت بقاياه بشارع المعز لدين الله الفاطمي أقامه حينما كان مشرفاً على البيمارستان المنصوري..

اشتهر عن الكامل شعبان إنفاقه ببذخ على مغنيته ومحظيته (اتفاق) على الرغم من أن (اتفاق) وهي من بلبيس كانت محدودة الجمال ومن ذوي البشرة السوداء، إلا أنها أوقعت في شراك حبها بعذوبة صوتها وعزفها على العود ثلاثة من أبناء السلطان محمد بن قلاوون، أولهم الصالح إسماعيل الذي رزق منها ولداً، ثم الكامل شعبان، وأنجبت له أيضاً ابناً أسماه (شاهنشاه)، وأخيراً المظفر حاجي، وكانت سبباً في زوال حكمه كما سنرى فيما بعد..

كان اعتقال الكامل شعبان لأخويه حاجي وحسين لتأخرهما في القدوم إليه علاوة على تقاعسه عن سداد رواتب موظفيه بمثابة الشرارة الأولى لزوال حكمه، حيث تمرد عليه الجند بقيادة الأمير (أرغون شاه) وعبثاً حاول الكامل التصدي للمتمردين من جنده، لكنه سرعان ما انفرط عقد

قواته مع أسر زوج أمه (أرغون العلائي) والذي قبل الأرض من تحت قدمي حاجي استعطافاً بعد إطلاق سراحه..

حاول الكامل شعبان الاختباء عند أمه بالقلعة وحاول قتل أخويه المعتقلين فحال بينه وبينهما الخدم وقبض عليه في النهاية، وأودع قاعة الدهيشة المكان الذي شهد اعتقال أخويه بالأمس القريب، وأرسل إليه حاجي من قام بخنقه!! وهكذا عصور المماليك دوماً دواليك الدائن فيها مدين بين عشية وضحاها..

استبشر المصريون بتولية (حاجي) والذي قبض على أتباع الكامل وفضح على العلن انخراط أخيه في أعمال السحر وجمع السموم العشبية، واعتقل المغنية اتفاق، وأقسم للأمراء ألا يؤذيهم فبايعوه على الطاعة، لكنه سرعان ما تخلص من (أرغون شاه) بعدما تملكه الغرور وأظهر الكثير من الخيلاء والزهو بتوليته (صفد) بعيداً عن مركز الحكم..

صغر سن حاجي أوقعه في سيرة أخيه الراحل نفسها، فبدأ يقرب منه الأوباش ولاعبي الحمام والنساء، كما أفرج عن المغنية (اتفاق) وأصبحت من محظياته، وتسامع الناس بمبلغ ما كان ينفقه عليها وعلى الحمام من أموال طائلة وما يهديهما من نفائس وأنها تنام على حرير وينثر عليها الذهب وأنها واحدة من ثلاثة نساء يدرن دفة الحكم في البلاد، مما ألب عليه أمراء المماليك فاجتمعوا على خلعه بقيادة النائب (أرقطاي) وأرسلوا إليه بذلك فأبى إلا القتال وبادر بالخروج إليهم عند قبة النصر، وجعل على

ميسرة جيشه أرغون الكاملي وصاحبنا شيخو فكانا من أوائل من تخلوا عن حاجي حتى أصبح في نفر قليل من أتباعه؛ فقام المماليك بذبحه في تربة أمه خارج القلعة وهو يتوسل إليهم قائلاً: "بالله لا تستعجِلوا على قتلي، وخَلُّوني ساعة" فقالوا: "فكيف استعجَلْتَ على قتل الناس، لو صَبَرْتَ عليهم صبَرْنا عليك.."

أسدل الستار على حاجي، وعاد أرغون شاه نائب الشام إلى زمرة الأحداث مرة أخرى، حيث استشاره المماليك فيمن يخلف حاجي؛ فاجتمعوا على تولية أخيه قمارى أو حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة.

الطريف هو ما أظهره السلطان الجديد على الرغم من حداثة سنه من اعتداد بالذات، حينما رفض أن يطلق عليه الناصر سيف الدين قماري مفضلاً أن يغير اسمه من قمارى إلى حسن، وإليه يعود بناء مسجد ومدرسة السلطان حسن الشهير (أنفقت عليه أموالاً طائلة لدرجة أن نقل الطواشي مقبل الشامي عن السلطان حسن قوله: لولا القول إن ملك مصر عجز عن إتمام بنائه لتركته لكثرة ما صرف عليه)..

علا شأن شيخو في عهد السلطان حسن، وأصبح من أمراء المشورة في عهد السلطان، والمتصرف مطلق اليد في شؤون الدولة، وتتلى عليه أمور الدولة في حضرة السلطان، وتولى نيابة طرابلس، ثم دمشق، ثم تغير خاطر السلطان عليه وقبض عليه وعلى مماليكه بقلعة دمشق، ثم أودع سجن

الإسكندرية ضمن موجة من الاعتقالات والقتل، نفذها السلطان حسن توطيداً لحكمه مع بلوغه سن الرشد..

فسارع المماليك لخلع السلطان حسن وتولية أخيه السلطان الصالح صلاح الدين صالح؛ فأفرج عن شيخو وجعله مقدم ألف أي على رأس ألف جندي، وبعد خلع السلطان الصالح وحبسه في دور الحريم بالقلعة حتى مات، كان رأي الأمير شيخو ووافقه عليه باقي الأمراء هو عودة السلطان حسن مرة أخرى بعد ما أظهره الأخير من ورع وملازمة على الصلوات الخمس، بل وكتابة دلائل النبوة للبيهقي بخطه ورداً للجميل، وما أندره في العهد المملوكي فمع السلطنة الثانية للسلطان حسن نما نفوذ شيخو بشكل مذهل وأُسنِدَ إليه منصب مستحدث الأول من نوعه بالتاريخ المملوكي وهو "أمير كبير" له أمراء يدينون له في كل مكان، وصار بمنصبه هذا يعلو منصب نائب السلطنة، وتضخمت ثروته بشكل متسارع على النحو الذي أشرنا له آنفاً، حتى لقب بقارون عصره، حيث قيل إنّ دخْلَ إقطاعه وأملاكه ومستأجراته بمصر والشام تخطت مبلغ مائتي ألف درهم يومياً..!!

جاءت وفاة شيخو على نحو درامي، إذ ترصد له مملوك يقال له: (باي قجا) وهو جالس في دار العدل بالقلعة، وأصابه بالسيف في وجهه ويده عدة إصابات بالغة، ظل يعالج منها قرابة ثلاثة أشهر دون جدوى حتى مات من جرائها..

ومن آثاره مسجد على طراز المساجد الجامعة يعرف باسم جامع شيخون البحري 1 في شارع شيخون بالخليفة بالقرب من ميدان الرميلة بالقلعة

(ميدان صلاح الدين حالياً) مؤلف من صحن مكشوف أوسط تحيط به أربع ظلات للصلاة أقيم في أواخر عهد المظفر حاجي وقيل في عهد السلطان حسن وكان للمسجد قبة احترقت أثناء مقاومة السلطان المملوكي طومان باي للغزو العثماني لمصر، كما يوجد على جانبيه أربعة أحجار سوداء اللون مما جعل العامة يظنون أن تبركهم بها يجلب الشفاء وما الشفاء إلا بعفو الله وحده فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كانَ إذَا أتَى مَرِيضًا -أوْ أُتِيَ به- قَالَ: أذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا. ...كما شيد شيخو في مواجهة الجامع خانقاه للصوفيين كان موضعها من قطائع أحمد بن طولون فاشترى شيخو منازل المنطقة من أربابها وهدمها ليبني هذه الخانقاه ورتب فيها أربعة دروس لفقهاء المذاهب الأربعة وللحديث النبوي، ومقرأة للقرآن وكان يقدم لطلبة العلم فيها الطعام واللحم والخبز يومياً، وأوقف عليها مالاً عظيماً حتى تفي بمهمتها الجليلة على أكمل وجه، حتى ذاع ذكرها وفيها دفن بعد ذلك..

كما أقام شيخو حمامين بحي الصليبة فضلاً عن سبيل فريد من نوعه لكونه محفور في الصخر وغير ملحق بمدرسة أو مسجد أو خانقاه على غير المتعارف عليه في العهود المملوكية..

مسجد وقبة الفقيه المجهول

قد يكون للإمام الفقيه المحدث أتباع كثر وتلاميذ شتى ومريدون من مختلف الأقطار، يغدق عليهم من علمه ولا يبخل عليهم بوقته، وكما أنه على المعلم واجب أدبي وأخلاقي في بذل العلم لتنوير عقول تلامذته وعدم كتمانه؛ فعلى التلامذة في المقابل واجب أكبر، وهو حفظ تراث أستاذهم ونشره بين العامة ونقله للأجيال القادمة، وهو ما لم يحدث مع إمامنا الليث ابن سعد الذي يتحمل هو أيضاً قسطاً من المسؤولية عن ضياع تراثه إذ ينسب إليه القول: "ما هلك عالم قط إلا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس" وربما كان هذا هو محرك نفسه لغض الطرف عن الحرص على التدوين والحفظ..

ونوجز السيرة العطرة لشيخ الإسلام الإمام الحافظ العالم أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن عقبة الفهمي، والفهمي نسبة إلى (بني فهم) حيث كان ينحدر من أسرة فارسية الأصل من أصبهان من موالي خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي ويدين لهم بالولاء أما لقبه (القلقشندي) فنسبة لمكان مولده بقرية قلقشندة بالقليوبية، وقد تدرج في منابع العلم فنهل من علوم التابعين بمصر وقد اجتمع له علم خمسين تابعياً ومائة وخمسين من تابعي التابعين كما ارتحل في عمر العشرين إلى الحجاز لأداء فريضة الحج

والجلوس لعلمائه مما يدل على علو همته وانكبابه على تحصيل العلم الشرعي حتى أصبح إمام أهل مصر وولي قضائها في ولاية (حوثرة بن سهل) في أواخر عهد الدولة الأموية، فترة حكم مروان بن محمد آخر حكام بني أمية والملقب بالحمار، قيل لجلده وصبره، وقيل لأن العرب تسمي كل مائة سنة حمار، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة صادف حكم مروان ليحوز هذا اللقب!! ومع بزوغ العهد العباسي قيل أن الخليفة أبو جعفر المنصور عرض على الليث ولاية مصر، فأبى لكونه من الموالي والليث هو صاحب أحد المذاهب الإسلامية المندثرة للأسف الشديد، وقد قيل في فضل علمه أنه كان أفقه من الإمام (مالك بن أنس) إمام المدينة المنورة، إلا أن تلاميذ الليث لم يحذوا حذو تلامذة الإمام مالك في حفظ فقهه وعلمه ونشره في أرجاء المعمورة، وعن ذلك يقول الإمام الشافعي: "الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به"، وقد حاول الإمام الشافعي جمع شتات من تراثه المفقود ولم يجتمع له سوى القدر اليسير..

كان الليث بن سعد حنفي المذهب، وعلى اتصال بالإمام مالك عبر المراسلات، وقيل: كان يدعمه مالياً على الرغم من الخلاف الفقهي بينهما. وقد نشأ الليث في أسرة ثرية تملك أراض زراعية شاسعة بحسب بعض الروايات وفي روايات أخرى أن نشأته فقيرة للغاية إلى أن أصبح من الأثرياء بين يوم وليلة، وفي سبب ثرائه قصة طريفة مفادها أن الخليفة العباسي (هارون الرشيد) حلف على زوجته وابنة عمه (زبيدة بنت جعفر)

بالطلاق أنه من أهل الجنة، ثم ندم وجمع الفقهاء من شتى أصقاع دولته ليجدوا له مخرجاً، فأفتوه جميعاً بالحنث ووقوع الطلاق إلا الليث خالف الإجماع في هذا المجلس، وسأل هارون الرشيد منفرداً إن همَّ بمعصية وتركها مخافة الله فأسر له الرشيد أنه واعد امرأة وبذل لها مالاً عظيماً، ولما كانت ليلة التلاقي هي الجمعة تركها مخافة الله، فتلا عليه الليث قوله تعالى في سورة النازعات: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)، ثم عاد لسؤاله إن كان خوفه في هذه الليلة من الله فقال الرشيد: "والله ما كنت إلا خائفاً"، وهنا توقف الليث عند قوله تعالى في سورة الرحمن (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) ليبشر الرشيد أن الله بهذا الفعل قد أثبت له جنتين، فتهلل الرشيد ومنح الليث ما تمناه من مال رصده جميعه في أوجه الخير ونصرة الفقراء وما طلبه من حصانة دينية ليكون في مأمن من تقلبات الولاة والعمال وقد كان.

وربما يكون السبب في اهتمام الإمام بالحصول على هذه الحصانة ما كان بينه وبين والي مصر الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي زمن الأمويين من خصومة وكان لازال الإمام في مقتبل العمر وكانت له داران واحدة بالفسطاط قريبة من جامع عمرو بن العاص حيث تلقى دروسه الأولى والأخرى بقريته يقضي فيها أغلب وقته فهدمها الوالي عسفا ثلاث مرات، فحلم الشيخ في منامه بقوله تعالى في سورة القصص: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ) فأصيب الوالي بالفالج وكف أذاه عن الإمام وندم على ما كان وأوصى به في وصيته الأخيرة..

من أشهر مواقف الإمام الليث بن سعد موقفه من نصارى مصر، حيث عضد موقفهم في أحقيتهم في إعادة بناء ما تهدم من كنائسهم باعتبار ذلك من عمارة الأرض وأن الكنائس في مصر بنيت في زمن الصحابة والتابعين في تمثيل جلي لتسامح الإسلام وجوهر رسالته، ودخل في خصومة من أجل ذلك مع والي مصر (سليمان بن علي) الذي تعنت في هذه المسألة ورفع الأمر للخليفة هارون الرشيد والذي استبدل الوالي بوالي آخر هو موسى بن عيسى فأذن للنصارى في بنيان الكنائس تأييداً لفتوى الإمام الجليل.

توفي الليث بن سعد بمصر في زمن الرشيد عام **175** هـ، فحزن عليه المصريون حزناً جماً، وكانت جنازته مهيبة ودفن بالقرافة الصغرى وصلى عليه والي مصر وقتئذ (موسى بن عيسى الهاشمي)..

أما قبر الإمام الليث والواقع في شارع الإمام الليثي بجوار قبة الإمام الشافعي بحي الخليفة، فكان في بدايته مصطبة، ثم أضاف إليها أبو زيد المصري أحد تجار مصر قبة عام **640** هـ، ثم جددها أبو بكر يونس شيخ القرافتين الصوفي خلال العهد المملوكي الجركسي عام **811** هـ، ويجدر بنا أن نشير إلى سرقة تاريخية ألمح لها مفتش الآثار العربية حسن عبد الوهاب في كتابه (تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها الجمعة صاحب الجلالة فاروق الأول) من أنّ أبا بكر يونس ربما محا اسم سلفه أبي الخير محمد ابن الشيخ

سليمان المادح شيخ القرافتين الصوفي، صاحب العمارة الحقيقية في عهد الناصر فرج بن برقوق بحسب رواية المقريزي ووضع اسمه مكانه، ومحا أيضاً اسم الناصر فرج، وأثبت مكانه الظاهر محمد أبي سعيد جقمق المزامن لعصره، لتكتمل أركان السرقة لكن فاته تغيير التاريخ! وجددتها كذلك امرأة دمشقية تدعى مرحبا بنت إبراهيم بن عبد الرحمن أخت عبد الباسط وذلك عام **832** هـ، ثم أضاف الأمير يشبك بت مهدي سنة **884** هـ، إليها مئذنة وجدد المسجد السلطان الغوري عام **911**هـ، وقد أخذ هيئته الحالية بعد التجديد الذي قام به الأمير موسى جوريجي ميرزا مستحفظان عام **1138**هـ، حيث القبة والمقصورة الحاليتين أما المحراب والمنبر فمن تجديدات إسماعيل بك راتب عام **1294** هـ.

****

حي المنيرة وأفراح الأنجال

خلف كلّ شبر من بلادنا ألف حكاية وحكاية.. حواديت وقصص لا تنتهي تنبض بتاريخ حي ومتصل، وإن تباينت يؤرخ لما مضى بكبرياء ويرسم الطريق لما هو آتٍ بمداد لا ينتهي من دروس وعبر..

حيّنا في حلقة اليوم كان يسمى في بداياته بالإنشاء، وكان في هذا الزمان المبكر وجهة لصفوة المجتمع والطبقات الأرستقراطية الراقية، حيث احتضن ثلاثة من القصور الفخمة التي شيدها الخديوي إسماعيل لبناته وهن: الأميرة توحيدة عند زواجها من منصور باشا من أعضاء المجلس الخصوصي، وكان من نصيبها أول هذه القصور والذي شغلته وزارة الحربية بعد ذلك لفترة، والأميرة فائقة (ابنته بالتبني) عند زواجها من مصطفى باشا بن إسماعيل باشا المفتش ناظر المالية، وقد استخدمته وزارة المعارف بعد ذلك، والأميرة جميلة عند زواجها محرم باشا بن كينج شاهين باشا ناظر الجهادية وقد استخدمت هذا القصر المدرسة السعيدية، ثم ديوان المعارف، ثم مدرسة محمد علي للبنات التابعة للخاصة الملكية..

وحول السبب في تسمية هذا الحي باسمه الحالي (المنيرة) عدة روايات منها أن ذلك نسبة للأميرة منيرة سلطان ابنة السلطان العثماني عبد المجيد الأول، والتي تزوجت من الأمير إبراهيم إلهامي باشا ابن والي مصر عباس

الأول عام 1857م، وشيدت قصراً بهذه المنطقة ومن الجدير بالذكر أن ابنتها هي أمينة إلهامي زوجة الخديوي توفيق، والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً.
وعلى الرغم من اقتراب هذه الرواية من المنطق إلا أن الرواية الأشهر أن القدر هو الذي حمل هذا الحي ليطلق عليه هذا الاسم، حيث استضافت شوارعه واحدة من المناسبات شديدة الفخامة في التاريخ المصري المعاصر ألا وهي أفراح الأنجال ففي عام 1873م، وفي عز الأزمة المالية التي تطحن البلاد قرر الخديوي إسماعيل أن يزوج أربعة من أنجاله دفعة واحدة وفي توقيت متزامن عبر حفلات بهيجة هم: توفيق وحسن وحسين وفاطمة فتزوج الأمير محمد توفيق من الأميرة أمينة بنت الأمير إلهامي ابن عباس حلمي باشا الأول (أم المحسنين) وتزوج الأمير حسين كامل من الأميرة عين الحياة بنت الأمير أحمد رفعت ابن إبراهيم باشا وتزوج الأمير حسن باشا من الأميرة خديجة بنت الأمير محمد على الصغير بن محمد على باشا الكبير ويقال: إنّ الخديوي إسماعيل قد وعد خديجة بهذه الزيجة إن أظهرت تفوقاً في دراستها وبينما يمر الخديوي بمدرسة الأميرات ومن بينهن خديجة سألها عما حفظت من القرآن، فتلت قوله تعالى في سورة مريم: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) فسرّ منها وفهم مغزاها وأوفى بوعده.
فيما تزوجت الأميرة فاطمة من الأمير طوسون بن الوالي محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا الكبير.

وأقيمت حفلات صاخبة ومهرجانات أسطورية بحق بداية من يوم 15 يناير 1873 م، أنفق عليها ببذخ شديد، واستمرت أربعين يوماً متتالية بمعدل عشرة أيام لكل عرس أضيء فيه الحي بالكامل، ويقال: إنّه لهذا السبب تحول اسمه إلى حيّ المنيرة.

بدأت الحفلات بالقرآن الكريم وإجراء العقود عبر دخول الشهود إلى باب كل عروس مسدل عليها الستار لإتمام الزواج، وتضمنت الحفلات فقرات من الطرب لأساطين الغناء آنذاك مثل عبده الحامولي والشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب ومحمد عثمان وعثمان المنيلاوي وغيرهم..

أنشد عبده الحامولي ما مطلعه:

"دولة الإسعاد لاحت.. وبدا نجم السرور"

وأنشد أيضاً ما مطلعه:

"ملك الجمال لك السعادة.. أمرك بشرب الراح صراح"

وقال أيضاً:

"بلبل الإقبال غنى... وقت أفراح البدور"

أما محمد عثمان فقد أنشد أغنية "الصبحية" ويقول مطلعها:

"يا مسعد الصبحية.. في ساعة البدرية

والشمس منها تجلى..كواكب درية"

وأعدت لهذه المناسبة المارشات والتي عزفتها فرق الموسيقى النحاسية والمزمار والطبل البلدي ومنها مارش "أفراح الأنجال" المعروف بأفراح القبة

ومارش الهانم. وقد أوكل الخديوي إسماعيل التأليف الموسيقي للتركي محمد ذاتي بك أما الأشعار فكانت من نظم محمود سامي البارودي وإسماعيل صبري باشا وغيرهم وتضمنت الحفلات كذلك فقرات للرقص أمام الهوانم أحيتها عائشة الطويلة التي رقصت عشر ساعات متواصلة، وصفية المنصورية فضلاً عن فقرة بهلوانية مبهرة أدتها "أم الشعور" وهي امرأة عجوز تتسلق على الحبل وتذبح كبشاً صغيراً، وهي لاتزال على الحبل وتلقي بقطع من لحمه على الحضور، كما عرض على الحضور جهاز كل عروس من حلي مرصعة بالألماس والأحجار الكريمة ومفروشات غالية وثمينة، ويحسب للخديوي إسماعيل أن انتصر للتجارة المصرية الوطنية في هذه المناسبة التي كانت محط أنظار العالم آنذاك فجلب مستلزمات العرس من محل (مدكور) المصري بدلاً من محل (باسكال) الفرنسي غير مكترث بفرق الأسعار والذي كان بطبيعة الحال في كفة الأجنبي..

حتى نتخيل حجم الحضور الضخم والصاخب لهذه الحفلات، فقد شهدت سراي الجزيرة وحدها حضور ما لا يقل عن خمسة آلاف شخص، وهي السراي التي أقامها الخديوي إسماعيل للاحتفاء بالإمبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث إمبراطور فرنسا، إبان احتفالات افتتاح قناة السويس عام 1869م، فلك أن تتصور عزيزي القارئ باقي الحضور في قصور القبة والنزهة والجيزة خاصة وأن الخديوي سمح لطلاب المدارس بالمشاركة.

على الصعيد الإعلامي ولأن الصحافة كانت مرآة ذلك الزمان، فقد أفردت الوقائع المصرية والتي كان يشرف عليها الشيخ رفاعة الطهطاوي عدة أعداد لتغطية هذا الحدث الهام شعراً، وتبارى الشعراء في كيل المديح للخديوي وأنجاله ومن أبرزهم: علي الليثي، وعبد الرحمن الإبياري، وعبد الله فكري، والشيخ رفاعة، وابنه علي فهمي رفاعة، وقد زاد الشيخ رفاعة على ذلك بأن خلّد هذه المناسبة بكتيب يحمل عنوان: "الكواكب النيرة في ليالي أفراح العزيز المقمرة" بلغت صفحاته عشرين صفحة..

ومن ألطف أبيات الشعر التي زامنت المناسبة ما قاله محمد عثمان جلال والذي أرّخ في أبياته للخديوي وابنته وصهره ووالد الصهر أيضاً، وتاريخ فرح الأنجال على نحو بديع يبرز قوة الشعر في هذا الزمان إذ يقول: "أجل الخديوي (يقصد إسماعيل) شأنها لكريمة... تمد صفاح الهند من حولها خدراً.

إلى طوسون (يقصد العريس) نجل السعيد (يقصد الوالي سعيد والد العريس) زفافها... فأحسن به نجلاً وأنعم به صدراً.

لقد خطب العليا فقلت مؤرخاً... إلى طوسون قد زفت الحرم الزهرا (يقصد العروس فاطمة الزهراء)".

بحساب الجمل في الشطر الأخير من البيت يكون الرقم **1289** وهو التاريخ الهجري المقابل لعام **1873** تاريخ زواج الأنجال ميلادياً.

كان من المدعويين للحفل كبار النظار والأعيان يتقدمهم خليل آغا اللالا البشكرجي أو كبير المشرفين على الأمور الخاصة للخديوي، وكان موضع رهبة إجلال الجميع للحد الذي كان العلماء والنظار وكبار الأعيان يقبلون يده عند مقابلته خوفاً وطمعاً!!

والأغوات وإن جاء ظاهر الكلمة لغوياً بمعنى السادة أو القادة إلا أن باطنها يحمل القسوة والعذاب فهم طائفة من الخصيان ويتم ذلك بحقهم نظراً لطبيعة عملهم الخاصة داخل القصور لضمان عدم شهوتهم تجاه النساء ويقال: إن معاوية بن أبي سفيان أول من استخدمهم لخدمة القصور وقيل: إن يزيد بن معاوية أول من استخدمهم وقيل: أبو جعفر المنصور لكن على كل حال فقد كبرت منزلتهم في عهد الدولة العثمانية وخليل آغا حبشي الأصل بحسب بعض المصادر، كان كبير آغوات الوالدة باشا خوشيار قادين أم الخديوي إسماعيل قدمه لها لأول مرة محمد أمين أحد كبار موظفي الحكومة بالسودان وأنعم عليه بالباشوية تقديراً لهذه الهدية ولتفاني خليل آغا وإخلاصه عهدت له الوالدة باشا بوظيفة اللالا أي المربي ومنحته سلطات مطلقة في الإشراف على تربية الأمراء ومنهم ابنها إسماعيل ومن هنا نشأت علاقة احترام بين الخديوي ومربيه رفعت الأخير إلى هذه المكانة وجعلته واسطة الصلح أحياناً بين زوجات الخديوي إسماعيل وجواريه إن نشب بينهن خلاف.. دور خليل آغا داخل القصور الخديوية جعله في مرمى الهجوم من أدباء عصره؛ فأنشد فيه عبد الله النديم قائلاً: "شوف الآغا

في النغنغا.. زي التيران في المزرعة... لو كنت أنا صاحب الآغا.. كنت اشتريتله بردعة "وحينما سمع خليل بهذا أمرَ بجلد النديم وضربه بالقباقيب حتى أغمي عليه.. كما أوكل لخليل آغا دور الرقابة على الأميرات وتنشئتهن بشكل أخلاقي قويم، لكنه تجاوز حدوده يوماً حينما صفع إحدى الأميرات حينما تغيبت عن القصر مدة أطول من المقدر لها وعلى الرغم من مرور هذا الحادث مرور الكرام بدعم من الوالدة باشا التي عضدت موقفه وشهدت لصالحه وقالت: إنها من أمرته بذلك لكن مع اعتلاء الخديوي توفيق أريكة الحكم لم تنسَ الأميرة الثأر لكرامتها؛ فأوغرت صدر الخديوي عليه فبدأ نجمه في الأفول وطلب من خليل آغا أن يغادر الأراضي المصرية فاختار أن يقيم في الحجاز وما أن وصل السويس حتى سبقه قرار ولي النعم لمحافظ السويس في تنفيذ حكم الإعدام في خليل آغا بضرب عنقه أو تجرع السم، فآثر خليل آغا الموت بالسم، وعاد جثمانه لقصره بحلوان ودفن في مقابر الإمام الشافعي بمدفنٍ أقامه مزودٍ بسبيل وبستان نضر.

كوّن الآغا ثروة ضخمة فوجه الكثير منها في أوجه الخير؛ فأنشأ مدرسة أهلية لتعليم الأيتام بالقرب من المشهد الحسيني وأوقف عليها أوقافاً كثيرة لكن المدرسة هُدمت وأُقيم محلها مشيخة الأزهر وافتُتِحَ مقرٌ جديدٌ لها في شارع فاروق (الجيش حالياً) في عهد الملك فؤاد عام **1930**م، ثم نقلت تبعيتها من الأوقاف إلى المعارف في عهد الملك فاروق عام **1946**م،

وتحولت من مدرسة ابتدائية إلى ثانوية... أما أوقاف خليل آغا الضخمة ذات الإيرادات الوفيرة، فقد ضمها الملك فؤاد إلى الأوقاف الملكية، مما جعل الآغوات المستفيدين منها يتذمرون ويطالبون بعودة الوقف لهم وحينما رفع الأمر للملك فاروق بعد وفاة أبيه اكتفى بمنحهم أربعة جنيهات شهرياً وهكذا استمر النزاع والتقاضي على إرثه مدة طويلة..

الطريف هو أسماء بعض شوارع حي المنيرة والتي خلدت ذكرى الحفل حتى يومنا هذا مثل شارع أفراح الأنجال المتفرع من شارع القصر العيني وشارع السكر والليمون وهو المكان الذي كان يعد فيه مشروب (الليموناذة) ليوزع على المدعوين ويذهب البعض إلى أن شارع الماوردي إنما سمي بذلك نسبة لماء الورد الذي كان يوزع بالحفل وليس بالضرورة نسبة إلى الفقيه الحافظ أبو الحسن الماوردي قاضي قضاة البصرة في الدولة العباسية وصاحب الكتاب الشهير الأحكام السلطانية.

أظنك قد أخذك الحدث بفخامته يا عزيزي وتمنيت لو عاد الزمان بك لمعاصرة هذا الزمان أو ربما راودك الحلم أن تجلس على مقعد وثير به تستمتع وتشاهد وتأكل مع الآكلين!!

لكن يا ترى جدك الذي سمع أيضاً عن هذا الحدث في حينه أين كان منه؟ بالتأكيد كان ضمن ملايين التعساء القابعين خلف عجلة التاريخ -وليس فقط خارج هذا الحدث - يعتصره العوز والمرض والجوع أو ربما كان هارباً من جحيم الضرائب المستحقة عليه... دعنا نقترب من حال المصريين

التعساء في عصر إسماعيل عبر مذكرات "لوسي دف جوردون" التي أخذت شكل رسائل كتبتها فترة إقامتها بمصر بين عامي **1862-1869**م، حيث عاشت في الأقصر في بيت فرنسا، التابع للسفارة الفرنسية، ومنه كانت تتنقل إلى القاهرة والإسكندرية، وفي رحلتها عاشت حياة جيرانها المصريين ومتاعبهم عبر مخالطتها لخادمها عمر أبو حلاوة والشيخ يوسف أبو الحجاج، الواعظ الأزهري ومعلم القرآن في مسجد أبو الحجاج. والكاتب أيضاً للقنصلية الإنجليزية والدكتور عثمان إبراهيم المتعمق في قراءة الأدب الإنجليزي، وهكيكيان بيك الأرمني الذي يُنسب إليه دخول زراعة اليوسفي في مصر. تنبع أهمية هذه الرسائل من كونها معاصرة للطاعون البقري أو طاعون الماشية عام **1864**م، والذي تفشى في مدن الصعيد، وأجهز على الماشية حتى نفق في المطاعنة والقرى حول مزرعة حليم باشا **24** ألف رأس من الماشية.. وانقلب حال جيرانها من يسر إلى عسر ومس هذا الحال حتى الموسرين العصاميين من الشعب الذي دفع ثمناً باهظاً لسوء إدارة إسماعيل لمقدرات البلاد وتورد "لوسي" قصة طريفة عن (البدراوي أحمد) أحد أغنياء الغربية والمالك ل **12000** فدان بين طنطا وسمنود، وكان والده فلاحاً وأمه جارية جركسية.. تهرب الرجل وقيل عجز عن دفع الضرائب الباهظة عن أملاكه فاستدعاه الخديوي إسماعيل إلى القلعة بحجة التباحث، ثم قبض عليه وحُمِلَ عبر سفينة بضائع إلى منفاه في فازوغلي (منطقة بين السودان وأثيوبيا شبهتها الكاتبة بمقابر الأحياء) ولم

يقبل الخديوي توسلات الرجل ورجاءَه أن يعود ليودع أهله وأسرته.. أبقى الحراس "البدراوي" غير مقيد مما مكّنه من حرية الحركة على الشاطئ، وكان بصحبته ابن له يدعى (محمد) مرض من أعين الحساد أو من أكل فاسد طعمه لدى أحد البشاوات في قنا أثناء رحلة المنفى عبر مديريات الصعيد فلما وصل "البدراوي" محطة الأقصر ذهب لمسجد أبي الحجاج الأقصري فصلى والتمس من الله المعونة في كربته ونذر إن غادرته هذه المحنة أن يزوره كل عام في مولده وينفق على الاحتفال به من ماله الخاص وفي المدينة دلوه على "لوسي" لعلاج ابنه وتعرف عليه خادمها عمر وقد تربى في خيره فاهتمت "لوسي" بمعالجة ابنه وبدأ يستعيد وعيه ويتماثل للشفاء..

****

مسجد ومقام قطب العارفين

لقد مثلت مصر عبر تاريخها التليد واحة ظليلة للعلم ومنارة للعلماء فأخرجت من العلماء من ملؤوا الدنيا بنور العلم وشمس المعرفة ومن أمثلتهم صاحب هذه الحلقة:

هو الإمام تاج الدين أبو الفضل أحمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله وينتهي نسبه إلى قبيلة جذام العربية من نسل كهلان وهم أصهار موسى وقوم شعيب عليهما السلام، حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدمت عليه جذام قال: «مرحباً بقوم شعيب، وأصهار موسى»..

استقرت أسرة ابن عطاء في أعقاب الفتح العربي الإسلامي لمصر في مدينة الإسكندرية، ولذلك لازمه لقب السكندري، وقيل: إنّ السبب في ذلك اللقب أن يكون تمييزاً له عن أحد الشعراء العالقين بذاكرة زمنه، ويدعى (ابن عطاء الله المصري) أيضاً، وكان عطاراً بالفسطاط، وقد اشتهر بمدح الملك العزيز "عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين الأيوبي" (يوجد شارع بالزمالك حالياً يحمل اسمه وهو العزيز عثمان).

كانت الإسكندرية في هذه الآونة هي معقل العلماء وقبلة المتعلمين فتتلمذ ابن عطاء على يد الفقيه ناصر الدين المنبر الجذوي الجذامي الإسكندري أحد أشهر فقهاء الإسكندرية وقتئذ.

كان ابن عطاء الله السكندري المالكي المذهب في بداياته من أشد خصوم الصوفية، فإذا به يتحول بالكلية ليصبح ليس فقط من مناصريها، بل ومن أقطابها وأركان طريقتها الشاذلية حتى أطلق عليه "حكيم الأولياء"و"قطب العارفين" و"ترجمان الواصلين" و"مرشد السالكين" وأن يصل في دفاعه عنها إلى حد مناظرة الإمام ابن تيمية حولها ومحاولة الانتصار لها ويذهب البعض أن هجوم ابن عطاء على بعض فتاوى ابن تيمية هو الذي أودى بالأخير إلى غيابات السجن والأمر في ظني لا يصل لهذه الدرجة ولا يخرج عن كونه سجالاً فكرياً، ولا ينبغي المغالاة في إطلاق الاتهامات..

كان السر في تحول الإمام السكندري إلى الصوفية هو ملازمته لأبي العباس المرسي زعيم الطائفة الشاذلية وتلميذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطائفة وإليه ينتسب المسجد الشهير في الإسكندرية (المرسي أبو العباس) وبعد موت المرسي آلت زعامة الطريقة لابن عطاء وكان ابن عطاء يلقي دروسه لطلابه ومريديه على كرسي بالأزهر الشريف، لذا يعتبره البعض من أولى أشكال ما اصطلح على تسميته "أستاذ كرسي" واقبتسته الجامعات الأوروبية تأثراً بالعرب وكان ذا هيبة ووقار، فصيح اللسان، قوي الحجة، عذب الحديث ولكلامه وقع وأثر بارز في النفوس والأفئدة، ومن أشهر كتبه

كتاب "الحكم العطائية"، ومن أشهر طلابه الفقيه الشافعي الصوفي البارز (تقي الدين السبكي)، والذي لقب بعد ذلك بشيخ الإسلام، وقاضي قضاة دمشق، وكان لا يخشى في الحق لومة لائم كأستاذه، فأصبح كالغصة في حلق الأمراء المماليك؛ فوصفه أحد أكابر أمراء المماليك ويدعى (بدر الدين جنكلي بن البابا) بالصداع كما دخل في صراع مع نائب الشام (أرغون شاه) ذكره فيه ذات مرة أنّ كليهما ميتٌ...

يزعم بعض الرواة أنّ لقاءً بالمصادفة قد جمع بين ابن عطاء وابن تيمية، وكان الأخير وقتها قد أتم فترة سجنه في مصر، وأثناء صلاته في الجامع الأزهر فوجئ أن ابن عطاء هو الإمام؛ فشهد له ابن تيمية بالورع وغزارة العلم وصدق القول والتفرد في حب الله وطاعته بين معاصريه في الشام ومصر، ودار بينهما حديث وديّ وهادئ حول الفرق بين الشفاعة والاستغاثة بالأدلة والبراهين، موضحاً أن استغاثة المسلمين بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما هي توسل بحقه عند الله، والتشفع بما رزقه الله من شفاعة وليست ذريعة للشرك كما أفتى ابن تيمية، كما حاول ابن عطاء تبرئة الشيخ محي الدين ابن عربي من الكفر وارتكاب المحرمات موضحاً أنه دس عليه في كتبه وأنه غير مسؤول عما اقترفه أتباعه من إسقاط بعض التكاليف الدينية، كما لفت نظر ابن تيمية أن هيئة الصوفيين ككل الناس، ولا يلبسون المرقعات والخرق، وأن الصوفي يحرص على النظافة وأداء العبادات متمسكاً بالكتاب والسنة، لكن الصوفي لا يكتفي بالأدلة العقلية

فحسب، ولكنه يسمو لحب الله ورسوله عبر صفاء القلب ورياضة النفس وترك الركض بين أركان الدنيا وهمومها، وأن الصوفيين أصحاب إشارات وعمق روحي ولكلماتهم معان وأسرار... وعلى الرغم من تشكيك البعض في دقة هذه الرواية من الناحية التاريخية وصحة رواتها والتقليل من أهميتها إلا أنها تبقى إن صحت في مجملها أو في أجزاء منها سواء اتفقنا أو اختلفنا معها صورة من صور التراحم والاحترام وأدب الحوار الواجب بين العلماء..

توفي الإمام الجليل ابن عطاء عام **709** هـ، ودفن بزاويته التي كان يتعبد بها بسفح جبل المقطم وأقيم مسجده الحالي عام **1973**م.

ومن أقواله:

- "إنّ الله لا يحجب رحمته عن أحدٍ من عباده، وإن الله لا يريد عبيداً يساقون إلى الجنة بالسلاسل، ولكنه يريد أحراراً يذهبون له باختيارهم".

_ لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج".

_ لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى).

****

جامع الظاهر

ربما لم يداهم أثر ديني عبر التاريخ ما لاقاه هذا الجامع من ضروب الهوان وصنوف النهب لعدة قرون من الزمان ومع ذلك بقي صامداً عازماً على البقاء والتحدي من أجل الحياة.

يقع جامع الظاهر بيبرس والذي يطلق عليه جامع العافية بحي الضاهر بالقاهرة ويعد من أكبر مساجدها مساحة ويمتاز بأول مدخل تذكاري بارز حيث القباب الدائرية المرفوعة على حنايا علاوة على فخامة الأبواب رغم قلتها إضافة إلى قبته أعلى المحراب والتي وجه مؤسس الجامع أن تكون على غرار قبة الإمام الشافعي، لكنها امتازت عن نظيراتها بأنها محمولة على حجرة، وليس على دعائم أو أعمدة ويرى بعض الباحثين أن هذه الحجرة بديلاً عن نمط المقصورة (حجرة خاصة من المسجد مقتصرة على الملوك والأمراء) الذي اتخذه معاوية بن أبي سفيان للحماية من الاغتيالات داخل المساجد في أوقات الصلاة اتقاء لما حدث لسابقيه من الخلفاء الراشدين.

كان الشروع في بناء الجامع بأمر من الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البُنْدُقْدارِي الصالحي النجمي والملقب بـأبي الفتوح، وذلك في يناير عام 1267م، واختار له أن يكون في ميدان (قراقوش) وهو متنزه الملك

الذي يمارس فيه لعب الكرة وحينما أشار عليه البعض باتخاذ مناخ الجمال السلطانية مكاناً لبناء جامعه قال قولته المشهورة: "لا والله.. لا جعلتُ الجامع مكان الجمال" ولم يدر بخلده ما تخبئه الأقدار لجامعه..
ويقال إنّ السبب في بناء الجامع بهذه الضخامة هو اقتراح الشيخ الصالح المعتقد خضر بن أبي بكر بن موسى بن عبد الله المهراني العدوي على الظاهر بيبرس بضرورة أن يكون له مسجد جامع، وكان الشيخ وأصله من قرية المحمدية من أعمال جزيرة ابن عمر صاحب نبوءات وموضع ثقة بيبرس وشيخه ولِمَ لا؟! وقد تنبأ له بمقعد السلطنة قبل أن يعتليها، وتنبأ له بفتح الكرك وحصن الأكراد وحدث أن خالفه بيبرس ذات مرة وتوجه للكرك، وكان الشيخ قد حذره من ذلك فكسرت ساقه وفخذه، وبلغت محبة بيبرس له أن سمى بعض أولاده خضراً، وكان يصحبه في أسفاره ويغدق عليه الأموال ويطلق يده في كثير من الشؤون، لكن تغير خاطر الملك قاعدة لا تخيب في العهد المملوكي وقلّما يفر من أهوالها أحد، فسرعان ما انقلب بيبرس على الشيخ خضر لأسباب كثيرة، فقيل إنّ السبب فظائع ارتكبها الشيخ خضر بحق أهل الذمة إذ انتهب كنيسة للأقباط بالإسكندرية وحولها لمسجد ومدرسة أسماها المدرسة الخضراء وأنفق عليها من بيت المال وكذلك فعل بمعبد يهودي بدمشق والأمر ذاته فعله بكنيسة القيامة ببيت المقدس، وذبح قسيسيها بيده، وقيل: إنّ السبب هو مخالطته لبنات الأمراء دون ساتر، ووقوع قبائح منه ومنكرات كالزنا واللواط فهم بيبرس

بإعدامه فتبنأ له الخضر أن أجله قريب من أجله "فمن مات منا لحقه صاحبه عن قريب"، والغريب أنه تحقق بالفعل إذ مات بيبرس بعد عشرين يوماً من إعدام خضر بحسب روايات أو موته بحسب روايات أخرى عام **1277**م، وقيل: إنّ بيبرس قد خشي على نفسه من تحقق النبؤة فحبسه في قبو لا يسمع أحد كلامه ولا يصل إليه أحد، ومع ذلك كانت تقدم له الأطعمة الفاخرة والملابس؛ حرصاً على حياته، ولكن قضاء الله لا مرد له وكان ما تقدم ذكره، والشيخ خضر هو المقصود بالعبارة التي مازلنا نرددها حتى يومنا هذا عند مصادفة أمر عصيب أو مستعصي: يا "عدوي يا عدوي"، وكان له زاوية وضريح على الضفة الغربية للخليج مباشرة على مقربة من جامع الظاهر، وليس ببعيد عن مسجد سيدي عبد القادر الدشطوطي بباب الشعرية، لكنها أزيلت وقيل: له عدة زوايا أخرى باسمه في القدس ودمشق وبعلبك وحماة وحمص.

نعود لجامع الظاهر محور حلقتنا، حيث أمر الظاهر بيبرس بجلب أمهر البنائين والمهندسين، وتوفير مواد البناء اللازمة كالخشب والرخام من كافة أنحاء البلاد وتولى عملية البناء الصاحب بهاء الدين بن حنا والأمير علم الدين سنجر السروري متولي القاهرة، وقد استخدم في بنائه بقايا هدم أبراج وقلعة مدينة يافا والتي كان قد تسلمها بيبرس من الفرنج، فدمرها وأشرف على ذلك بنفسه، وحملت أخشاب القلعة وألواح الرخام التي وجدت بها على ظهر مركب من يافا إلى القاهرة، حيث استخدم الخشب في عمل

مقصورة الجامع والرخام بمحرابه وانتهى العمل في البناء، فكان غاية في الروعة والحسن ورتب له خطيباً حنفي المذهب..

شهد العهد المملوكي اهتماماً بهذا الجامع، والذي لم يشهد عهد المماليك البحرية جامعاً في اتساع رقعته فعنى به الملك الظاهر جقمق لكن مساحة الجامع والتي قاربت الثلاثة أفدنة كانت بمثابة حجر عثرة في سبيل العناية به بشكل مستمر في العهود التالية؛ فأهمل شأنه في العهد العثماني لعدم كفاية المخصصات المالية للقيام بذلك.

ودارت الأيام بالجامع مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر عام **1798**م، حيث حوله الفرنسيون إلى قلعة عرفت بقلعة (سولكوسكي) نسبة لأحد قادة نابليون أو القلعة الظاهرية في الكتابات الشعبية التي أرّخت للحملة وجعلوا من منارته برجاً للمراقبة، ووضعوا على أسواره مدافع وشيدوا بداخله مساكن للجنود ليسكنوا فيها، وهكذا انقلب وضع الجامع بين ليلة وضحاها وأضحت أجزاء منه عرضة للتصدع والتهاوي وهو ما وجده ناظر وقفه فرصة لبيع أنقاضه.. !!

نأتي لسؤال هام لماذا اتخذ نابليون هذا القرار العجيب بتغيير اسم الجامع ليحمل اسم قائده؟

الإجابة وببساطة أنّ الجنرال الفرنسي جوزيف سلكوسكي هو الياوران الخاص لنابليون بونابرت وخليفته المنتظر، وفي أعقاب اندلاع ثورة القاهرة الأولى في **21** أكتوبر **1798**م، أوكل له إخماد ثورات المصريين في الصالحية

في الشرقية، فأصيب هناك وعند عودته كانت الثورة في القاهرة على أشدها وفي أتون معاركها فالتقطه المصريون عند باب النصر وأوسعوه ضرباً حتى لفظ أنفاسه وتركوا جثمانه للكلاب، وإمعاناً في إذلال المصريين الثائرين وعقاب الإسلام الذي ولّدَ لديهم هذه الحمية الثائرة أمر نابليون بونابرت والذي تأثر بشدة لموته بتغيير اسم الجامع الإسلامي العريق ليحمل اسم قائده الفرنسي المغدور!

وفي عهد محمد علي باشا الكبير اتُخذ الجامع مصنعاً للصابون وأوكل أمره للسيد أحمد بن يوسف فخر الدين، والذي أضاف إليه أحواضاً كبيرة للزيت والقلي، ثم تسلمته الحكومة في العهد نفسه، واستخدمته مخبزاً للجيش ومعسكراً لطائفة التكارنة (المماليك السود)، ثم أزيل المخبز في عهد الخديوي إسماعيل..

ومع تهدم أجزاء من الجامع عام **1812**م (الأرجح عندي **1802**م، وهو ما يوافق ما جاء في تاريخ الجبرتي في ترجمة الشيخ الشرقاوي عام **1217**هـ) وجه الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر بنقل بعض أحجاره وأعمدته الرخامية لإقامة رواق الشراقوة بالجامع الأزهر..

وفي عهد الاحتلال البريطاني لمصر تحول إلى مخزن ومذبح، وعُرف بمذبح الإنجليز ولحق به خراب شبه كامل، كما استخدمت أجزاء منه في تزيين قصر النيل حيث ثكنات الجيش الإنجليزي المحتل، ثم جاء مقترح بملحق تقرير اللورد كرومر بقلم المستشرق وعالم الآثار الإنجليزي ستانلي لين بول

عام **1895**م، بتحويل صحنه الواسع إلى حديقة يتنزه فيها سكان العباسية في ظل تعذر عودة الجامع لمهمته الأساسية في إقامة الشعائر الدينية! وقد أخذ بهذا الاقتراح لاحقاً بشكل جزئي، واستغلت مساحة من الجامع في إقامة حديقة... وفي عام **1918**م، تخلى الجيش البريطاني عن الجامع ليعود للحكومة المصرية والتي أوكلت أمره إلى لجنة الآثار العربية لإعادة الشعائر الدينية به، حيث تم إصلاح وترميم الجزء المحيط بالمحراب، وجعل منه مصلى ووضع به منبراً.

ويعود الفضل للملك فؤاد الأول في عودة هذا المسجد للحياة ولمهمته الأساسية في ديسمبر عام **1928**م، حيث احتفلت وزارة الأوقاف بإقامة صلاة الجمعة فيه بعد ما يزيد عن **150** عام من الانقطاع، وحضر هذه المناسبة إبراهيم فهمي باشا وكيل وزارة الأوقاف والشيخ محمد خلاف واشتركا في أداء الصلاة، وكان الابتهال بالدعاء للملك فؤاد وولي عهده فاروق آنذاك..

****

زاوية الأباريقي

من أقسى دروس التاريخ أن يكون المرء ملء الأسماع والأبصار وفي بؤرة الأحداث دون أن يكون له في سريانها ناقة ولا جمل، وفجأة وعلى دون موعد وفي غمضة عين يضيع كل شيء ويغدو المصير قاتماً ويصبح ما تركه أثراً بعد عين والأقسى أن الأثر نفسه صار يحمل اسم غيره!

أُنشِئت هذه الزاوية التي نتناولها في حلقتنا على مسجد (غبن) وهو من المساجد الفاطمية الواقعة في منطقة منيل الروضة وصاحبه كان من خدم القصر الفاطمي في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، وأصبح قائد عام الجيش المصري وتوفي عام 405 هـ.

كان بستان المختار المتنزه الذي شيده محمد بن طغج الأخشيد مؤسس الدولة الأخشيدية في جزيرة الروضة، وجعله داراً للغلمان وخزائن الكسوة والطعام مفاخراً به أهل العراق، هو المكان الأثير للحكام الفاطميين الذي قدموا لمصر بعد زوال الحكم الأخشيدي، فكان المتنزه للمعز لدين الله الفاطمي، كما كان أيضاً خياراً محبباً لابنه العزيز بالله، ومن بعدهما المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي، ولقبه الحاكم بأمر الله وكنيته أبو علي والذي كان كثير التردد على جزيرة الروضة عشقاً في

الطبيعة وبعداً عن زخم الحياة وجو المؤامرات بين أروقة القصور، وكان بطبعه تواقاً للعزلة باحثاً عنها ففكر خادمه الأمين (غبن) في إنشاء جامع لمولاه يصلي فيه أثناء إقامته في الجزيرة وعلى عادة هذه العهود من غرائب الأمور ومدهشات الأحداث، فقد قلد الحاكم بأمر الله خادمه مهمة قائد القواد عام **402** هـ !! وكان العرف السائد في العهد الفاطمي الأول أن توكل الشرطتين العليا في القاهرة والسفلى في الفسطاط مع الحسبة إلى شخص واحد. وهكذا اجتمعت كل هذه السلطات التنفيذية في قبضة (غبن) الذي فرح بما وصل إليه، ولكن لم يجُل بخاطره ما تخبئه الأقدار وما أقساها..

منطقياً إنّ هذه المناصب تتطلب لشغلها مؤهلات محددة وخاصة الحسبة وهي منصب ديني رفيع يتطلب إلماماً بالشريعة، وكفاية في علوم الدين المختلفة حتى يتحقق المراد منها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنّ الحاكم بأمر الله لم يكن ممن يكترثون بمثل هذا، وقد ابتدع وأضاف في الدين ما ليس منه، ولذلك فقد حدد بدقة مهام (غبن) في سجل التولية الذي تلي على الناس في جامع عمرو بن العاص والذي جاء فيه النهي عن المسكرات كالنبيذ والفقاع (شراب من شعير) وإحراق مزارع الزبيب والأمر بقطع الكروم من الجيزة والنهي عن بيع العنب والمنع لأكل الملوخية والسمك الذي لا قشر له (أي القراميط وهي تدخل في دائرة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل الجلالة وهو كل ما كان أكله نجس وهو ما يتحقق فيها حيث تعيش في المياه الملوثة وتتغذى على الديدان والحشرات وترتفع

بها نسبة الزئبق بما يضر بالصحة) ومنع بيع العسل بأكثر من ثلاثة أرطال خشية أن يتخذ مسكراً والمنع من الملاهي وحضور النساء الجنائز والأمر بالفصل بين الجنسين..

واستمر (غبن) في وظائفه حتى عام **404** هـ، وهو العام الذي جرد فيه من كل صلاحياته واستبدل بمظفر الصقلي (في روايات الصقلبي) وحول أسباب انقلاب الحاكم على خادمه (غبن) دارت روايات شتى منها أن كاتب (غبن) ويدعى أبي القاسم علي بن أحمد الجرجاني كان كاتباً عند (ست الملك) الأخت غير الشقيقة للحاكم بأمر الله من زوجة أبيه السيدة العزيزية المسيحية الديانة على المذهب الملكاني، ثم انتقل إلى خدمة (غبن) هروباً منها وخوفاً على حياته، وقد كانت غريبة الأطوار كشقيقها الحاكم سواء بسواء، فغضبت ست الملك وأبلغت أخاها فقطع يديّ الجرجاني ومن بعده انتقم من (غبن) شر انتقام وقيل: السبب أن الجرجاني وكان مكلفاً بالإشراف على المكاتبات التي ترد للحاكم قد حجب عنه شكوى من الأهالي مقدمة ضد (غبن) ذلك أن الأسعار ارتفعت في ذلك العام وتكالب الناس على الخبز فلما علم الحاكم غضب وأنزل به هذه العقوبة هو ومولاه (غبن)، فالأول أخفى والثاني باعتباره مسؤولاً حقيقياً عن الغلاء مع أن هذه الفترات شهدت انخفاضاً لمنسوب النيل وعادة ما يصاحب ذلك ارتفاع الأسعار، ولكن من يتصدى لإفهام الحاكم!! لكن الأرجح عندي أن المسألة تقع في سياق العلاقة بين الحاكم بأمر الله وشقيقته

(ست الملك) والتي بدأت بالتكاتف مروراً بالصراع والتربص المكتوم ونهاية بتراجيديا دموية من نوع خاص.

كان الحاكم بأمر الله صبياً في الحادية عشرة من عمره حينما اعتلى دست الحكم فيما كانت ست الملك (تسمى أيضاً ست النصر والقطبية) في السابعة والعشرين من عمرها، شابة ناضجة تدير الأمور بكياسة ودهاء وكان الحاكم وقتها في وضع لا يحسد عليه فهو حاكم بالاسم فقط دون صلاحيات، إذ اقتسم الحكم من خلفه اثنان أحدهما أمين الدولة وشيخ كتامة (طائفة المغاربة الأمازيغ أو البربر) ويدعى أبو محمد بن عمار والآخر كبير الخدم ويدعى أبو الفتوح برجوان ويتزعم طوائف المشارقة وإليه تنسب الحارة الشهيرة (برجوان) بالقاهرة في حي الجمالية. وبدأ ينشب النزاع بين الطرفين على الصلاحيات والنفوذ، فساعدت ست الملك أخاها في عزل ابن عمار وتهيئة السبيل لبسط النفوذ لبرجوان والذي سرعان ما قلب لهما ظهر المجن، وبدأ يقلل من سلطة الحاكم ويحط من شأنه ويستكثر من الأموال والملذات، كما دخل في حلف مع غريمه ابن عمار ومنحه اقطاعاته وامتيازاته السابقة من جديد، وبذلك أصبح ولاء المغاربة في قبضته فكان لزاماً على الحاكم وشقيقته ست الملك مجابهة هذا الوضع بدهاء فتعاونا على قتل برجوان ومن بعده ابن عمار وبعض شيوخ كتامة الموالين له ليستقيم الأمر للحاكم وينفرد بالحكم وقد غدا شاباً..

وفي بداية حكمه عمل على استقطاب الرعية فسار على سيرة أبيه الراحل

العزيز بالله في توزيع المال على الفقراء والمساكين بنفسه، كما خفض ضريبة المكوس عن الناس وعمل على إصلاح المكاييل والموازين ونهى عن البخس فيها وأجزل العطاء لكتامة ومنح أصحاب الديانات الأخرى الحرية في احتفالاتهم، فاحتفل النصارى بعيد الغطاس والأتراك بعيد النيروز، ففرح الناس به واستبشروا بمقدمات حكمه لكنها كانت لحظات من هدوء سبقت عاصفة طمست على كل هذا واستأصلته كأن لم يكن.. قيل: إنّ الحاكم ادعى الألوهية وصدرت الأوامر للناس في السوق والاجتماعات بالسجود إذا ذكر اسمه، وهي مسألة جدلية وغير منطقية ولاينبغي ترديدها دون دلائل واضحة من زمنه ومعاصريه.. يحلو للبعض تحميل المؤرخين المتأخرين المسؤولية عن شيوع هذه الفكرة عن الحاكم والصواب في وجهة نظري أنّ المغالاة من قبل اتباع الطوائف التي أسس لها الحاكم أو ساندها هو السبب الحقيقي لذلك، فقد واجه الحاكم واحدة من مشكلات شرعية الحكم والتي تحدثنا عنها باستفاضة في كتاب (نوستالجيا الواقع والأوهام)، حينما أعلنت الخلافة العباسية صراحة أن الحاكم بأمر الله ليس من سلالة علي بن أبي طالب وهو أمر ليس بجديد فقد وجه للمعز الدين الله الفاطمي أول الحكام الفاطميين لمصر، والذي لم يقلقه الأمر فأعلن بوضوح وصرامة وعلى مرأى ومسمع من الناس أن الخيار الشعبي أمام حكمه إما السيف أو الذهب وبين هذين الخيارين تقبع شرعية حكمه! وذلك رداً على المشككين في انتساب دولته لفاطمة الزهراء ابنة

النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجها الإمام علي بن أبي طالب، حيث كان اليوم الأول لدخول المعز القاهرة المدينة التي شيدها له قائده أبو الحسين جوهر بن عبد الله المعروف بجوهر الصقلي أو جوهر الرومي أو جوهر الصقلبي، بحسب ترجيح المقريزي (يقال: إنّ أصوله أرمينية وإنه عاش فترة في صقلية يمتهن صناعة الكنافة والحلوى قبل الالتحاق بجيش الفاطميين ومن هنا جاء المثل "اللي بنى مصر كان في الأصل حلواني") فصلى ركعتين وصلت جموع مستقبليه خلفه، ثم سأله أحد الأشراف ويدعى (عبد الله بن طباطبا) عن نسبه فسل المعز نصف سيفه وقال: "هذا نسبي" ونثر ذهباً كثيراً وقال: "هذا حسبي" فقال الجمع جميعاً: "سمعاً وطاعة"، ومن هنا كان المثل القائل: "ذهب المعز لا سيفه".

وعلى خلاف من هذا السبيل قرر الحاكم أن يجعل من ذاته شرعية للحكم فأسس للمذهب الإسماعيلي في مصر والذي يدين بالولاء والطاعة لشخصه بمساعدة رجلين من الفرس بحسب بعض الروايات هما محمد بن إسماعيل الدرزي والحسن بن حيدرة الفرغاني وذلك عام **408** ه، وأنشأ دار الحكمة لإعداد وتوجيه دعاة المذهب الجديد الذي بقي على الولاء حتى بعد اختفاء الحاكم للأبد..

يبقى الأمر المتفق عليه هو غرابة قرارات الحاكم التي ذكرنا بعضها في تولية (غبن) ونضيف عليها تعديله للساعة البيولوجية لرعيته فجعل الليل لأعمالهم والنهار لنومهم، وقلب معها مواعيد الصلاة، فصلاة الظهر

أول الساعة السابعة، والعصر أول الساعة التاسعة، وهو أمر لا يخالف الدين فحسب، بل ضد الطبيعة التي ينظمها هرمون الميلاتونين الذي تفرزه الغدة الصنوبرية في الدماغ. كما كان يمارس الحسبة بنفسه أحياناً راكباً حماراً وبصحبته عبد أسود يدعى (مسعود) فإذا وجد من يغش بضاعته أمر مسعود بفعل الفاحشة معه! ولا تستطيع أن تفهم من قراراته تجاه الغذاء إن كان من مناصري الأكل النباتي أم الحيواني، فهو تارة يمنع الملوخية (أو الملوكية والتي اختص نفسه بها) والجرجير والمتوكلية (طعام يطهى بالقلقاس) والباذنجان وفي الوقت نفسه نجده أيضاً يقنن ذبح الأبقار لتقتصر على أيام الأضاحي، وأن تكون معيبة مما لا يصلح للحرث وهو قرار حتى نكون منصفين يمكن اعتباره من أساليب إدارة المخاطر في أزمنة الأوبئة والجوائح للحفاظ على الثروة الحيوانية، ويمكن أن نعتبره سباقاً لعصره في هذا المضمار إذا علمنا أنه منع أيضاً من عجن الخبز بالأقدام وهو ما يمكن اعتباره من المفاهيم الأساسية لإدارة العدوى ومنع انتقالها عبر الغذاء... كل هذا يمكن تقبل بعضه وتفسيره على مضض صحياً ودينياً لكن ما يخرج عن سياج العقل ويتحدى المنطق هو قراره بمنع صلاة التراويح والعقاب المشدد على مخالفة ذلك، وحدث أن قام رجل يسمى (خلف بن رستم الضرير) ليصليها فقتله الحاكم وأطلق عليه شهيد التراويح! وما ظنه أهل الذمة بارقة أمل في بدايات عهده أمسى سراباً فقد أمر بتعليق الأجراس في أعناق النصارى، وفصل حمامات اليهود والنصارى

عن المسلمين ومنعهم من ركوب الخيل والبغال ولبس العمائم البيض... تمر السنون ويدب أنين الظنون وتساور عقل الحاكم الوساوس بشأن شقيقته ومطامعها وهي التي عاونته في الماضي؛ فاتهمها بالفجور وأنها حامل رغم بلوغها الخمسين وهددها بإرسال القوابل لاستبرائها!! متوعداً إياها بالقتل وأن علاقة تربطها بالقاضي (مالك بن سعيد) الذي يعلمها المذهب الشيعي ولما كثرت الشائعات أمر الحاكم القاضي بقتل مروجي الشائعات فلما أحجم عن ذلك أو عجز عنه قتله على الرغم من محبته واحترامه له في الماضي..

وبدأ الصراع بين الأخ وشقيقته يلوح في الأفق ويأخذ منعطفاً خطيراً وأصبح الحاكم يقتل كل من يتوجس أنه من أعوان ست الملك وربما كان هذا السبب الذي لقي (غبن) مصيره المشؤوم بسببه، فقطعت يديه واحدة تلو الأخرى، وحملت على طبق سبق وأن أهداه (غبن) له عرف بطبق غبن لازال موجوداً بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ولم يكتفِ الحاكم بذلك بل وقطع لسانه أيضاً فمات (غبن) متأثراً بذلك.

ضاقت (ست الملك) ذرعاً بأخيها وقيل: إنّ دوافعها للخلاص منه قد تفاقمت بعدما ضرب بشروط الإمامة التي قامت عليها الدولة عرض الحائط، والتي كانت تقضي بانتقال الحكم بالوراثة من الأب إلى الابن، فعهد بولاية العهد لابن عمه عبد الرحيم ابن إلياس وأخذ له البيعة وسكت العملة باسمهما معاً، فبدأت تخطط للخلاص منه فذهبت متنكرة

إلى الأمير (طليب بن دواس) وفي روايات أخرى سيف الدولة حسين بن دواس الكتامي، وكان من شيوخ كتامة وخدم العزيز بالله والد الحاكم ومن المغضوب عليهم عند الحاكم لعلاقته بست الملك، وأقنعته بقتل أخيها وتولية ابنه مكانه في مقابل أن يقتسما تدبير السلطة من خلفه معاً.

كانت (ست الملك) تعرف مواعيد خروج أخيها متنكراً على حمار للتأمل في النجوم والخلوة بجبل المقطم، وكان له مرصد هناك فتتبعه اثنان من عبيد (طليب) وتم الإجهاز عليه وقتله، ثم أخذت البيعة لابنه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله، وعمره ست سنوات وحتى تتخلص ست الملك من شريكها (ابن دواس) وتصبح المتصرفة الوحيدة في شؤون الحكم من وراء ستار، فقد أوعزت إلى خدم الحاكم المغدور أن ابن دواس القاتل الحقيقي لمولاهم فقتلوه واستتب لها الأمر خلف ابن أخيها الخليفة.

نأتي إلى صاحب الزاوية الشيخ أحمد الأباريقي الأحمدي وهو من زمرة علماء القرن السابع الهجري والذي اتخذ من مسجد (غبن) خلوة له وهو من أولياء الله الصالحين ومن أصحاب السيد البدوي (له مسجد مشهور بطنطا) وتلاميذه وحاملي راية التصوف من بعده وعلى هذا لقب بالأحمدي وقد كان للرجل كرامات وتجليات حتى ذاع صيته بين العامة والخاصة وطغت شهرته على شهرة المسجد وصاحبه الأصلي ولم يعد أحد يتذكر

(غبن) المسكين، وحينما حضرته الوفاة دفن فيه عام **675** هـ، وأصبح المسجد يسمى زاوية الأباريقي نسبة له.

وقد جدد المقام علي باشا شريف بن شريف باشا ومن بعده عبد الحميد بيك شريف في شهر شعبان عام **1327**هـ، وقد أقام ستراً أخضر على ضريح الشيخ عام **1328** هـ.

وقد شهدت هذه الزاوية الصلاة على الإمام جلال الدين السيوطي أثناء تشييع جنازته من الروضة إلى حوش قوصون..

إنها رحلة ممتعة عبر الزمان والمكان، فكن حصيفاً واغتنم فوائدها ودروسها وعبر أحداثها.

****

جامع طوته حوادث الدهر

ربما يكون للقوي حظوة في فرض ما يبتغيه من واقع في لحظته وزمنه بما أوتي من قوة وظهير، ولكن دائماً ما يكون للزمان والأقدار رأي آخر هو الأبقى والأمضى والأوفر حظاً في انتخاب ما يبقى صالحاً وفناء ما يزول ويندثر وهذا ينطبق بحذافيره على جامعنا في حلقة اليوم..

جامع العسكر والذي بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي والي مصر الذي عينه الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله بن أبي جعفر المنصور على مصر عام 785م، بعد أن عزل عسامة بن عمرو عنها، ثم جاءت وفاة المهدي وتولية ابنه موسى الهادي، فأقر الهادي ولاية الفضل على مصر..

استعان الفضل بعسامة المعزول لإقامة الصلاة ريثما يصل ولايته وقد كان.. ووصلها في جيش عظيم من جند مصر والشام.. جوبه الفضل بتحديات صعبة وخيارات أصعب فهو بين شقي الرحى، فعصيان أهل جزيرة الحوف قابع بالوجه البحري ويضاهيه تمرد أخطر يقوده (دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أو دحية الأموي) بجهة الصعيد وقد استعصى على سابقيه..

اشتدت وتعاظمت فتنة (دحية) في مصر في زمن واليها موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي (أصله من الموصل) مولى خثعم، وكان شديد الظلم والجور مشتداً على الناس في استخراج الخراج، فزاد على كل فدان الضعف وفرض أموالاً على أهل الأسواق واستخدام الدواب وارتشى في الأحكام فكرهه الجميع من جند وعامة وفقهاء على السواء لدرجة أن الإمام (الليث بن سعد) سمعه ذات يوم يتلو في خطبته قوله تعالى في سورة الكهف: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) فقال الليث: "اللَّهُمَّ لاتقه منها". خرج موسى بنفسه لملاقاة دحية في كامل جيشه فانهزم موسى وتركه أهل مصر لمصيره، فقتل في المعركة وتولى بعده عسامة بن عمرو بن علقمة بن معلوم بن جبريل بن أوس بن دحية المعافري الأمير أبو داجن وكان قائد الشرطة فبدأ حكمه بمحاولة إنهاء فتنة دحية وبعث جيشاً بقيادة أخيه (بكار بن عمرو) فدارت واحدة من أغرب المعارك كانت فيها الهزيمة حليف الجيشين معاً.

ذلك أن (يوسف بن نصير) وكان على رأس مقدمة جيش دحية قد وضع الرمح في خاصرة بكار فرد بكار بوضع الرمح في خاصرة يوسف وأدى التطاعن بينهما إلى مقتلهما معاً وهزيمة الجيشين، وأمام هذا الإخفاق الشديد أسرع بعزله المهدي كما تقدم ولم تتجاوز ولاية عسامة ثلاثة أشهر إلا أياماً..

كان (الفضل) وبحق أهلاً لهذه المهمة الشاقة الملقاة على عاتقه وكان اختياره موفقاً فتمكن من هزيمة دحية بشكل ساحق والإجهاز على فتنته وأسره وضرب عنقه وصلبه بمدينة الفسطاط، ثم إرسال رأسه إلى الهادي.

سار (الفضل) أثناء ولايته لمصر على خطى والده القائد صالح بن علي العباسي، فعمر مدينة العسكر ثاني عواصم مصر الإسلامية التي بناها والده شمال شرق الفسطاط في منطقة تعرف بالحمراء القصوى لتكون قاعدة عسكرية لجيشه، بها ثكنات ومساكن للجنود وبها قبة الهواء (مكان القلعة الحالية) كمصيفٍ له، فأنشأ الفضل بها جامع العسكر ثاني المساجد الجامعة في مصر ليكون متاخماً لدار الإمارة وشرطة العسكر (الشرطة العليا) ومكانه تحديداً بالفضاء بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح وكانت تقام به الصلاة الجامعة يوم الجمعة قبل تشييد جامع أحمد بن طولون ويحوي منبراً ومقصورة، وسرعان ما دبت الحياة حوله ونشطت حركة العمران، فأحاطت به الأسواق والبيوت ونهض العمران في المدينة بأكملها حتى صارت منافسة بقوة للفسطاط المدينة الأقدم..

ورغم تباهي الفضل بأنه أولى الناس بولاية مصر لقيامه بأمر دحية مقارنة بفشل غيره ردحاً من الدهر، وبذلك كفى أهل مصر أمره وعلى عادة هذه الأزمنة في تقدير جزاء الإحسان بالنكران، فقد عزل الفضل بأمر الخليفة موسى الهادي بعد أقل من عام على توليته وتولية (علي بن سليمان) بدلاً منه وتملك الندم من الفضل على قتل دحية والخدمة التي أسداها لدولة الخلافة

دون أن تعود عليه بالنفع وعاد لبغداد ومات بها، وقيل: إنه تقلد ولاية دمشق في فترة غير معلومة إن سبقت ولاية مصر أو بعدها عمر خلالها جامع دمشق وقبة المال في صحنه، كما عرف عنه كونه شاعراً فصيحاً وخطيباً بليغاً مفوهاً ومن أشعاره:

"عاش الهوى واستشهد الصبر ... وعاث في الحزن والضر.

وسهل التوديع يوم نوى ... ما كان قد وعّره الهجر".

الحقيقة إنّ مركز الخلافة العباسية في بغداد لم يكن في أفضل حالاته في هذا الزمان أيضاً، فالصراع على السلطة كان على أشده فالخليفة المهدي أراد أن ينصب ولديه هارون الرشيد وموسى الهادي فأجبر عيسى بن موسى فارس بني العباس وولي العهد على خلع نفسه وكان ممتنعاً فأرسل المهدي عدداً من قادته بالطبول إلى الكوفة لإخافته عند الفجر حتى أذعن، وقيل: تنازل مقابل عشرة آلاف درهم، وضياعاً بالزاب وكسكر وكانت زوجة المهدي هي (الخيزران بنت عطاء الجرشية) وكانت في بدايتها جارية أصولها من اليمن، وقيل: من مكة وتربت باليمن، وقيل: بربرية مغربية، وقيل: إنها كانت زوجة لرجل من قبيلة ثقيف من جرش باليمن واسترقت. والثابت أنها كانت مثقفة تجيد الشعر والأدب والعلوم الشرعية، وقد بيعت للمهدي في موسم الحج، وقيل: لوالده المنصور وأهداها له أثناء ولايته للعهد وعلى الرغم من عدم إعجابه بنحولة ساقيها (دقة ساقيها هو السبب في تسميتها بالخيزران النبات الشهير الذي كانت تستعمل أعواده في صناعة مواد

الكتابة) إلا أنها ملكت لبه بسحر بيانها وقوة تأثيرها (يقال: إنّ من شخصيتها استوحت شخصية شهرزاد في ألف ليلة وليلة) فتزوجها وأصبحت أم ولديه هارون والهادي، وسحبت البساط من تحت قدميّ زوجته الأولى الأميرة (ريطة ويعني اسمها الريطة المنسوجة أي الملاءة الرقيقة واللينة) ابنة الخليفة السابق عبد الله السفاح وحرمت ابنيه منها (عبد الله أو عبيد الله وعلي) من منصب ولاية العهد وقصرته على ولديها الهادي وهارون ضاربة بعرض الحائط ما تعاهدته الخلافة في مهدها على قصر هذا المنصب على أبناء الأحرار وقيل: إنّ (ريطة) اختارت بمحض إرادتها الدعة والسكينة إذ لا فائدة من المشاكسة والمقاومة.. وهكذا كانت للخيزران الكلمة العليا والقاطعة والنفوذ الأكبر لدى الخليفة المهدي المغرم بهوايته في الصيد!! وأصبحت السيدة الأولى في القصر تستقبل رجال الدولة وقواد الجند بحجر لها داخل قصر السلامة وتستمع للتقارير من خلف الستار وقد تعلمت كثيراً من أسلوب الأميرة المسنة زينب بنت سليمان بن علي في التعامل مع الناس وخطب ودهم، وكانت تتدخل في الأحكام بالعفو والشفاعة ولها سلطة التوقيع على الأوراق الرسمية، وكانت تتخذ قرارات خطيرة بمفازاة عنه وتعلمه بها مثلاً: ترتيب العطايا والثياب لمزنة زوجة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وقد رقت لمصابها وحالتها الرثة ودوران الزمان بها، ولم تبالِ بسخرية نساء العباسيين بمزنة وتشفيهم فيها، وحدث أن احتدت يوماً على زوجها المهدي قائلة: "ما الذي أفدته أنا منك؟"

ومدت يدها إليه ومزقت ثوبه وقالت له: يا قشاش (أي من يلم الغث والرديء من الطعام) على مرأى ومسمع من المؤرخ والمحدث أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، الواقدي صاحب الطبقات، فقام الواقدي بتهدئة غضب المهدي فمنحه الأخير ألف دينار ومنحته الخيزران ألف إلا عشرة دنانير حتى تظل هدية الخليفة الأكبر.. قصة تبدو شديدة الغرابة وغير منطقية أن يشتم الخليفة على مسمع من أحد العامة لكن طبعاً الواقدي متهم بالكذب والوهن والوضع في حديثه وهذا كان حال كثير من رواة القصص بالتاريخ الإسلامي وللأسف الشديد..

كانت الهدايا الذهبية ترسل للخيزران من كبراء الدولة طمعاً في رضاها وتزكية أمورهم لدى الخليفة مما مكنها من تكوين ثروة كبيرة بعيداً عن خزينة الدولة، كما وطدت دعائم نفوذها فكان لها ذمة مالية منفصلة وتتقاضى ثلث الدخل السنوي للخليفة (مائتي ألف وستين ألف دينار) كما كان لها أراضٍ شاسعة وعبيد وخدم، ولملمت شتات أسرتها القديمة واستقدمتهم إليها وكان لها أختان إحداهما (سلسل) وقد تزوجت الأمير جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور وأنجبت له زبيدة زوجة هارون الرشيد والأخت الأخرى (أسما أو أسماء) يقال: إن المهدي تزوجها بحيلة طريفة تحايل بها على الشرع خشية أن يقال جمع بين الأختين، فأعتق الخيزران وسيرها إلى مكة حتى تعود إليه ويعقد عليها كامرأة حرة وأم لولديه ولي العهد، فيما استغل فرصة غيابها وعقد على أختها ومهرها ألف

ألف درهم وفوقهم ألف ألف درهم أخرى هبة، فلما عادت الخيزران وغضبت من فعلته طلق أسما وتزوجها! كما كان لها أخ أيضاً وهو (الغطريف بن عطاء) أصبح والياً على اليمن وسك اسمه على النقود في سابقة نادرة..

ومع وفاة المهدي أثناء رحلة صيد قيل: قتل فيها، وقيل: مات بالسم مكنت الخيزران ابنها الهادي من الحكم والذي سرعان ما قلب لها ظهر المجن وبدأ يحد من صلاحياتها الواسعة التي تمتعت بها في عهد أبيه، وقيل: حاول اغتيالها بالسم، لذا صارت تؤثر عليه ولدها المطيع هارون وتسعى لتمكينه من الحكم بدلاً من الهادي الذي حاول خلع أخيه هارون، وعقد ولاية العهد لابنه جعفر من بعده، فتخلصت الخيزران من الهادي قيل بدس السم في الطعام حينما أغلظ لها القول، ولم يمت مباشرة، بل ظل لأيام طريح الفراش، وقيل: إنها سارعت وقتها بإرسال جواريها ليجلسن على وجهه واضعين الوسائد على أنفاسه أثناء مرضه فمات خنقاً تحت الوسائد!! وقيل: إن القدر هو من رسم النهاية بوفاة الهادي في اللحظة المناسبة بقرحة المعدة، ثم تلاه هارون الرشيد على سدة الحكم لتعود الخيزران إلى مكانتها السابقة في عهده..

نعود للجامع والذي شهد اهتماماً من والي مصر عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة في عهد الخليفة المأمون فزاد في عمارته.

وظلت العسكر وجامعها يحظيان بالمكانة والحكم للعباسيين حتى أتى أحمد بن طولون وأسس مدينته القطائع لتكون عاصمة لملكه ومقراً لجيشه مؤسساً بها جامعه الكبير الذي عرف باسمه مستقلاً بذلك عن العباسيين ولو بشكل جزئي.

وتمر السنون الطوال مسرعات ويأتي زمن الفاطميين ومع تفاقم الشدة المستنصرية أصاب الخراب والنهب مدينتي العسكر والقطائع معاً وتحولتا إلى أطلال، واختفى جامع العسكر بشكل غامض وتوارت سيرته من التاريخ إلى الأبد فيما بقي جامع أحمد بن طولون صامداً شاهداً على التاريخ أبد الدهر...

على هامش هذه الحلقة الرمضانية ونصيحة للسيدات اللاتي يحببن الأسماء الجديدة، فما رأيكن أن نلتمسها من التراث العربي وعلى سبيل المثال: اسم "ريطة" وقد عرفنا معناه في هذه الحلقة وهو أيضاً اسم الصحابية ريطة بنت منبه بن الحجاج، وزوجة الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل السهمي. كما كان أيضاً اسم ريطة بنت العباس بن علي زوجة الخليفة المتوكل على الله العباسي ولها قصة طريفة في طلاقها، حيث أراد المتوكل منها ذات مرة أن تطم شعرها وتقصره، فأبت بشدة لأن ذلك كان من موضات الجواري واختارت أن تطلق ولا تتشبه بالجواري!

أما ريطة بنت السفاح الواردة في حلقتنا فلها طرائف مع الشاعر أبي دلامة زند بن الجون الأسدي الكوفي العبد المولى الحبشي، ومنها أن الأخير كان لا

يصلي ويشرب الخمر، فلما جاء رمضان أمر الخليفة وقتها أبو جعفر المنصور ولي عهده (المهدي) بإلزامه بالعبادة فكان يرسل له حارساً يومياً لأداء العبادات، فثقل الأمر على أبي دلامة ووسط (ريطة) منشداً:

"أبلغا ريطة أني ..كنت عبداً لأبيها.

وأراها نسيتني .. مثل نسيان أخيها .

جاء شهر الصوم يمشي.. مشية ما أشتهيها.

ما أبالي ليلة القدر.. ولا تسمعنيها.

فأطلبي لي فرجاً منها .. وأجري لك فيها".

مسكين بالطبع من كان بهذه الغفلة عن طاعة الله يسير في الحياة كالمهرج بلا هدف سوى حصد المال!!

المهم قرأت ريطة الأبيات وضحكت وأرسلت إليه بالانتظار لحين مضي ليلة القدر فعاد ينشدها قائلاً:

"ما ليلة القدر من همي فأطلبها .. إني أخاف المنايا قبل عشرينا"..

فضحكت من قوله وشفعت له لدى المهدي الذي ضحك هو الآخر حتى استلقى حينما سمع هذه الأبيات وأمر له بسبعة آلاف درهم بوساطة "ريطة" أتمها عشرة آلاف درهم، وهذا مذهب بعض الخلفاء وزوجاتهم في منح المال للعابثين نظير أشعار بخسة تحمل كلماتها جرأة على الله وعلى عباداته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحدث أن طلب أبو دلامة جارية منها فماطلته فدفع بشكواه إلى جاريتها "أم عبيدة" منشداً:

"أبلغي سيدتي بالله يا أم عبيدة
وعدتني قبل أن تخرج للحج وليده
فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيدة
كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديدة
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيدة
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديدة
وجهها أقبح من حوت طري في عصيدة" ..

فأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها..

أعتقد بعد كل هذه الحكايات الكثيرة يستحق اسم (ريطة) وغيره من الأسماء العربية أن يكون خياراً للأمهات وتريند للتسميات.

****

نوادر من في القبور

من أطرف ما تناقلته كتب قبور الصالحين تلك القصة التي وردت في كتاب (تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات) لنور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي عن قبر (البزاز) وصاحبه محمد بن عبد الله بن الحسين البزاز المصري، وهو من أكابر الصالحين، وكان صاحب حانوت للتجارة يقتسم رزقه مع جيرانه التجار فإذا ما اشترى منه أحد وجاء آخر للشراء أوصاه بالشراء من جاره، ويالها من خصلة عظيمة لو وعاها اللاحقون...

وقد تركت هذه السجية أثراً طيباً في بيته، ففي أحد الأيام مرت به امرأة أعجبته فعرض عليها الزواج على ألّا يأتيها إلا نهاراً، فقبلت وأمضت معه عاماً على هذا الوضع ولم يُعلم زوجته الأولى..

ومع تغير عادات الزوج وانصرافه عن المجيء لزوجته الأولى نهاراً، فأرسلت جاريتها لتتقصى أمره وتتبع أثره دون أن يعلم، فجلست الجارية في مكان لا يراها سيدها وما أن قام من حانوته حتى تتبعته إلى أن وصل لدار زوجته الثانية وعرفت من الجيران كل شيء، ثم انطلقت إلى سيدتها لتخبرها..

واتباعاً لسجايا أخلاق المرأة المسلمة الصالحة كانت الزوجة خير مشكاة فلم تراجع زوجها في قرار التعدد وهو حق له وبقيت معه سنين حتى مات

فأخذت ما خصها من ميراثه بالعدل، ثم أرسلت الجزء المتبقي من الميراث إلى الزوجة الثانية مع جاريتها، وكانت المفاجأة أن ردت المرأة الثانية المال معتذرة أن الرجل قد طلقها ولا تستحق من ميراثه شيئاً..

هذه شيم وسجايا وأخلاق المرأة المسلمة ما بين زوجتين لرجل صالح إحداهما قبلت حق زوجها في التعدد بكل رحابة صدر والأخرى لم تقبل أن تأخذ مالاً ليس لها ولا حق لها فيه بعد طلاقها..

ومن كرامات البزاز بعد موته أن رجلاً فقيراً عارياً يشتهي كساء يلبسه دعا الله عند قبره والله هو الرزاق ذو القوة المتين وإذا بأمه تأتيه ومعها قميص وسروال منحهما لها جماعة من الناس دون سؤال منها فمضى لقبر الرجل الصالح يشكره قائلاً: "يا شيخ جزاك الله عني خيراً" ونفسه تحدثه بكساء آخر ليرقد فيه، فدعا الله عنده مرة أخرى وانصرف فإذا بأحد الأشخاص في الطريق يناوله كساء دون حول منه ولا قوة، فحمد الله وشكره ولم ينقطع بعدها عن زيارته.

****

جامع المسيحية

ربما تظنني عزيزي القارئ قد أخطأت وأنا أكتب عنوان هذه المقالة أو ربما اعتبرته خطأ مطبعياً أو سهواً يدعو للدهشة والاستغراب، ولكنها الحقيقة تماماً، ففي شارع صلاح سالم بميدان السيدة عائشة بالقاهرة يطل عليك هذا الجامع بمئذنته الشاهقة المميزة.

شيد هذا الجامع والي مصر (مسيح محمد باشا الخادم) عام **1575**م، بعد عام واحد من توليه ولاية مصر (**1574**م) من قبل السلطان العثماني مراد (الثالث) بن سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول، وكان في بداياته خازندار (وكيل المال أو الخزانة العامة) للسلطان العثماني سليم الثاني وبالإضافة للجامع، فقد أنشأ مدرسة وكتاباً يعلوه لتعليم الأيتام وسبيلاً يحتوي على ثلاثة شبابيك، ومسكناً مخصصاً لساقي الدواب علاوة على تربة له خارج القرافة بشارع نور الدين بعرب اليسار.

وقبل أن نتحدث عن الجامع وصاحبه، فحريٌ بنا أن نلقي نظرة عابرة عن حال مصر إبان الحكم العثماني والفترة التي استدعت اختيار شخص صاحب سيرةٍ طيبةٍ مستقيمٍ وقويٍّ وذي وقارٍ وهيبةٍ مثل مسيح باشا، ونبدأ بنهاية حكم السلطان العثماني سليمان القانوني وآخر ولاة مصر في عهده وأغربهم وهو محمود باشا والذي جاء من الأستانة بموكب عظيم باحثاً عن

الثراء الفاحش، فلم يسلم من شروره من استقبله بالهدايا ومن أحجم أيضاً عن استقباله وتقديمها له، فقد خنق مثلاً الأمير محمد بن عمر متولي الصعيد والذي أتى لاستقباله في قارب ومعه هدايا وخمسين ألف دينار، وأخذ الأموال والهدايا، وكذلك خنق القاضي يوسف العبادي لأنه لم يأتِ لملاقاته، ولم يقدم له الهدايا وعلى هذا المنوال قتل من الناس والأعيان خلقاً كثيراً كما استولى على تركة الأمير إبراهيم الدفتردار أمير الحج من مال ومماليك وجواري بما يساوي مائة ألف دينار وضمها للمال والهدايا التي يرسلها للسلطان العثماني وأعوانه في الأستانة طلباً للرضا السامي وتوطيد مركزه وضمان بقائه، وكان موكبه في القاهرة بين الناس غريباً كغرابة صاحبه إذ دائماً ما يصطحب معه "الشوباصي" أو رئيس الجلادين للفتك بمن يحاول قتله، ورغم ذلك تمكن نفر من الناس من قتله أثناء مروره بالبساتين، ولما لم يعثر على قاتله تم القبض على اثنين من الفلاحين المساكين قادهما حظهما العاثر للمرور من هذه المنطقة أثناء الحادث.. في هذه الآونة كان السلطان العثماني سليم (الثاني) بن سليمان قد اعتلى أريكة الحكم فولى سنان باشا (أو خوجه سنان باشا تقلد منصب الصدر الأعظم عدة مرات) صاحب المسجد الشهير بشارع السنانية بالسبتية بحي بولاق وكان رجلاً عادلاً ومن القادة العثمانيين العظام لكن سرعان ما تم نقله لجبهة الحرب باليمن لإخماد تمرد الإمام الزيدي المطهر بن يحي شرف الدين، واستخلف مكانه اسكندر باشا الجركسي والذي سار في الناس سيرة

حسنة حتى عاد سنان باشا ليستكمل فترة ولايته بمصر ومن بعده تولى حسين باشا والذي كان محباً للعلم والأدب ومنحازاً للعدل، لكن وللأسف الشديد يشوب فترة حكمه تساهله الشديد وتراخي قبضته في تطبيق الحدود فعمت الفوضى البلاد، وانتشرت السرقات وكان لابد من الحسم. ومع اعتلاء السلطان مراد الثالث عرش السلطنة العثمانية عزل حسين باشا وولى مكانه مسيح باشا كما ذكرنا آنفاً، والذي بدأ ولايته شديداً وصارماً فأخذ على أيدي اللصوص دون شفقة أو شفاعة ولو دفع له ألف دينار، فقتل منهم عشرة آلاف، وعلق شناكل من حديد لقتل المفسدين وأصحاب الكبائر بالرميلة وبولاق وبالشون في مصر العتيقة حتى استتب الأمن في البلاد وضم لحكمه الحجاز واليمن، فاتسع نفوذه وكانت المراسيم والأحكام في زمنه يُكتب بها هذه العبارات الرقيقة الطيبة الداعية لاستقرار السلام بين الناس وديمومة الأخوّة والتي تقول: "الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا وآله وصحبه إن المؤمنين إخوة فاحفظوا السلام بين إخوتكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا عباد الله اجتهدوا في دين الله واعملوا بشرع الله"

اشتهر عن مسيح باشا حبه للشيخ نور الدين القرافي أحد أعلام عصره ومصاحبته له وقيل: إنّ هذا هو السبب الذي جعله يبني هذا الجامع من أجله وأن يخصص له أوقافاً جعله على نظارتها يتصرف فيها كيفما يشاء مدة حياته ومن بعده أولاده حتى عرف الجامع بمسجد الشيخ نور الدين

القرافي! وحول السبب في هذه العلاقة المتينة بين الوالي والشيخ وهذه الثقة الكبيرة والنادرة في مثل هذه الأزمنة أقوال عدة أشهرها تدور في فلك أطروحتين الأولى: تزعم أن مسيح باشا كان مسيحياً وهو أمر ليس مستغرباً، حيث كانت الدولة العثمانية تضم في جيشها مسيحين، والداعم لذلك أنه بوسني المولد أي من منطقة البلقان وكان السلطان مراد (الأول) بن أورخان بن عثمان القايوي التركماني (**1360-1389**م) في الماضي قد أصدر قانوناً لضم الأسرى المسيحين من الأرمن والبلقان ضمن صفوف الجيش العثماني وذلك بفتوى من الفقيه الكبير (رستم القرماني) وتبني التنفيذ الصدر الأعظم آنذاك (جاندارلي قره خليل باشا) بما عرف بقانون أبناء الخمس أي خمس الغنائم ويسمى (بنجيك قانوني أو بنجيك أو غلانلاري أو نظام الدوشيرمة حيث تحصل الدولة على خمس أسرى الحرب تلحقهم بالخدمة العسكرية مقابل الضريبة المستحقة عليهم)، وربما كان مسيح باشا واسمه في حد ذاته يؤيد هذه الفكرة كان أحد هؤلاء وأن إسلامه جاء أثناء انخراطه بالجيش العثماني وأن الشيخ نور الدين القرافي كان له دور في تحسين إسلامه أما الأطروحة الأخرى أن مسيح باشا كان من مسلمي البوسنة وأن اسمه ربما كان تيمناً باسم مسيح باشا الصدر الأعظم في عهد السلطان بايزيد الثاني بين عامي **1499** و**1501**م (كان ابن شقيق آخر أباطرة الدولة البيزنطية قسطنطين الحادي عشر بالأيولوغوس

وأسر وعاش في قصر السلطان العثماني محمد الفاتح) وشغفه بالصوفية دفعه للتعلق بالشيخ..

من أطرف الحوادث في فترة ولاية مسيح باشا لمصر والتي امتدت لخمس سنوات وسبعة أشهر، والتي تبرز أمانة الرجل وعفته أن القاضي محي الدين الظاهري كاتم أسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية أثناء حفره لإقامة قاعة ملاصقة لبيته الكائن بمصر المحروسة بباب مصر الصالحية وجد تحت الأرض قاعة تتوسطها قبة معقودة بالجبس والمؤن المحكمة، فهدمها ليطلع على ما تحتويه، فوجد صندوقاً فيه قنينة زجاجية بها شيء يشبه الدهن فأسر بهذا الأمر إلى الشيخ سري الدين الصائغ الحكيم رئيس الحكماء بمصر، ففحصها وأخفى عليه سرها، ثم أسرع من فوره إلى مسيح باشا مخبراً إياه أن كنزاً ثميناً قد عثر عليه ويريد جائزته عنه فوعده مسيح باشا بتلبية طلبه فقص الشيخ سري الدين لمسيح باشا أنه فحص لدى القاضي محب الدين قنينة زجاج بها إكسير إذا وضع منه درهم على قنطارين قصدير أو رصاص صار ذهباً (لاحظ أننا في أزمنة شاعت فيها فكرة حجر الفلاسفة وإمكانية استخلاص الذهب من المعادن الرخيصة وتعزى الفكرة لعالم الكيمياء جابر بن حيان والذي استمدها من الفلسفة اليونانية) فاستدعى مسيح باشا القاضي وأمره بإحضار القنينة وعلى مرأى من الأشهاد فحصت لاستجلاء حقيقتها وتم ختمها وإرسالها إلى خزينة السلطان مراد.

انتهت ولاية مسيح باشا على مصر عام **1580** م، وعاد إلى إسطنبول ليشغل بعدها بخمس سنوات منصب الصدر الأعظم (أقيل أو استقال منه بعد أقل من عام) فكان وقع الخبر على المصريين مؤلماً، وزاد حزنهم لفراقه حينما تولى بدلاً منه حسن باشا الخادم (تحدثنا عنه في كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر) والذي أعاد مصر إلى سابق عهدها من الفساد والرشوة..

وأنشد أحد الشعراء بعد رحيل مسيح باشا قائلاً:

"والله نرجو أن نراه كاسمه ..وبه نرى الكربات عنا تنجلي

ولطالب تاريخ زين القول خذ...أرخ مسيح أثره حسن ولي"

كان مسيح باشا يتمني أن يدفن في القبر الذي شيده ملحقاً بجامعه، ولكنه القدر أعاده إلى الأستانة مرة أخرى حيث بنى مسجداً في بلدية الفاتح في مدينة إسطنبول التركية عام **1585** م، قام بتصميمه المعماري العثماني الشهير معمار سنان. وفي عام **1592** م، اغتيل وقد بلغ التسعين من عمره على يد متطرف من الجماعات الداعية للانفصال في الأناضول وفي روايات أخرى أن وفاته كانت عام **1589** م، ودفن بالقرب من مسجده بإسطنبول..

هذا عن مصير صاحب الجامع فماذا عن مصير الجامع ذاته وقد تطاولت الأزمنة وبعدت؟

اندثر الجامع مع الزمن لكن عام 1976 م، تمت إعادته للحياة من جديد وترميمه بجهود سكان منطقة السيدة عائشة وغير اسمه لجامع مسبح باشا بدلاً من مسيح باشا !!..

****

صور رمضانية من زمن فات

ارتبطت العديد من المظاهر الرمضانية بعهد الأسرة العلوية في مصر فعهد محمد علي باشا مؤسس الدولة شهد بزوغ أول أمساكية رمضانية قبل عامين من تخليه عن السلطة وتحديداً عام **1846** م، لترتيب أوقات الصلاة والصيام وطلوع وغروب القمر بشكل تنظيمي في دواوين الدولة طوال أيام رمضان وفق التقويم العربي الهجري، وكانت الأمسكية تتكون من صفحة واحدة في أعلاها صورة ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير وإلى جانبها جاء ما نصه "أول يوم رمضان الاثنين، ويرى هلاله في الجنوب ظاهراً كثير النور قليل الارتفاع، ومكثه خمس وثلاثون دقيقة".

وتمت طباعتها أول مرة في دار الطباعة الباهرة ببولاق بمصر المحروسة..

كما يرتبط بعصر محمد علي باشا واقعة إطلاق مدفع ألماني لتجربته صادفت وقت الإفطار؛ فأضحت من وقتها عادة أحبها الناس وصارت من الطقوس الرمضانية، وذلك وفق بعض الروايات لكن تظل هذه المصادفة مختلف عليها بين ثلاثة عهود، الأول هو عهد السلطان المملوكي خشقدم، والثاني عهد محمد علي باشا، والثالث عهد حفيده الخديوي إسماعيل..

كما جاءت وفاة محمد علي باشا في شهر رمضان في يوم **13** منه في عام **1849**م، ليصبح الاحتفال بذكراه مع قدوم شهر رمضان عُرفاً سار عليه أبناؤه وأحفاده من حكام مصر طوال عهودهم..

في عهد الوالي عباس حلمي الأول، وكان قد أتم بناء جامع جده محمد علي باشا كان تقام الاحتفالات في هذا الجامع، ويرجح أن هذه الإجراءات الاحتفالية قد بدأت مع عهد الوالي محمد سعيد باشا ضمن احتفالات لخمس ليالٍ من السنة تقام بالمسجد منها ثلاث ليالٍ من رمضان وليلة الثالث عشر من رمضان ذكرى وفاة الباشا واليوم الذي يليه، حيث وريَ الثرى فضلاً عن الاحتفال بليلة القدر.

والجدير بالذكر أنّ مسجد محمد علي باشا هو أول مسجد في مصر يضم منبرين عظيمين، حيث وجه الملك فاروق بعمل منبر جلب رخامه من بني سويف ونقش بالنقوش الذهبية بتكلفة خمسة آلاف جنيه، مع بقاء المنبر القديم.

في عهد الوالي محمد سعيد باشا أصدر محافظ القاهرة قراراً عام **1856**م، بإقامة مهرجان مرتين أثناء شهر رمضان وإقامة الزينات والألعاب النارية لتهيئة أجواء الاحتفال بالشهر الكريم..

وفي عهد الخديوي إسماعيل حدث أمر كان له وقع كبير على حياة الناس ففي **4** يوليو **1875** م، قرر الخديوي اعتماد التقويم الميلادي جنباً إلى جنب التقويم الهجري ليدخل القرار حيز التنفيذ في **11** سبتمبر من العام

ذاته وتدريجياً حل محله، كما تم الأخذ بالتوقيت الأفرنجي أو الزوالي (يبدأ عند الزوال) بدلاً من التوقيت العربي الغروبي (يبدأ عند غروب الشمس) والأخير هو التوقيت المتسق مع أوقات العبادة، حيث تنضبط الساعة مع أذان المغرب عند غروب الشمس الساعة 12، ومنها نعرف الساعة الأولى من الليل والثانية من الليل والثالثة من الليل، وهكذا لذا فأرى أن الضرورة لتخصيص مدفع للإفطار والسحور كانت أحوج ما تكون على عهد الخديوي إسماعيل (مدفع الحاجة فاطمة نسبة لابنته) وهو الأقرب للمنطق لتطبيق هذا الأمر عن أي عهد آخر لتدريب الناس وتعويدهم على المواقيت الإفرنجية الجديدة.

أما عهد الخديوي توفيق فيمكننا الاقتراب من الطقوس الرمضانية في عهده عن كثب عبر كتاب (الحياة في البلاط الملكي المصري) لألفريد جوشوا بتلر حيث يحكي المؤلف والذي عايش هذه اللحظات في قصر الخديوي كمعلم لأبنائه أن استقبال شهر رمضان المبارك كان بإطلاق القذائف الصوتية من إحدى وعشرين سفينة حربية في الميناء، وكانت تقام مراسم الاستقبال الخديوية للصفوة من الأعيان والعلماء وشيوخ البدو، وتنصب خيمة كبيرة في حدائق قصر عابدين، حيث كان يتولى من ثلاثة إلى أربعة مشايخ تلاوة القرآن الكريم طوال الليل دون توقف، وكانت تقام صلاة التراويح بعد العشاء مباشرة، حيث يؤذن شيخان الأذان والإقامة من فوق درج القصر، ثم يحتشد جميع رجال البلاط والخدم والضباط في صفوف متراصة لأداء

الصلاة، وكان الخديوي توفيق كثير التدين وحريصاً على أداء الصلوات وينقل بتلر في كتابه واقعة طريفة ذلك أن الخديوي توفيق علم أن سكرتيره الإنجليزي ـويدعى تورابي بيكـ لا يصوم، وتورابي بيك رجل تركي شارف على الستين بحسب وصف المؤلف له، مشيته منحنية كالأطفال، وشهيته كالمارد الجبار أسعد لحظاته بتدخين السيجارة وأشقاها مع السيجار وعلى الرغم من حياته بمصر لأكثر من خمسة عشر عاماً، فهو لا يجيد اللغة العربية بينما هو باحث إنجليزي من الطراز الأول في الوقت نفسه... استدعى الخديوي تورابي بيك ودعاه لإحياء رمضان ولو بصيام يوم واحد وهدده مازحاً بقوله: "في الواقع أمرك يا تورابي أن تصوم وإلا سأسجنك خشية أن تنقض وعدك لي وتضعف أمام الأكل والتدخين حين تنفرد بنفسك في غرفتك" فأخذها تورابي بيك على محمل الجد، وراح يتوسل للخديوي مستعطفاً إياه ومتعللاً بضعف صحته ومرضه، ولما لم يجد لاستعطافه أثراً في نفسه بدأ يتملقه قائلاً: "الجميع قد لاحظوا إشراقَ وجه الخديوي وبهاءَه الدائم أثناء الصيام، بينما وجوه الآخرين عابسة متدهورة فظة" فضحك جميع من في المجلس..

وشهد شهر رمضان في عهد الخديوي توفيق إقدامه على عزل أحمد عرابي باشا وزير الجهادية، وذلك في **4** رمضان **1299** هـ الموافق **20** يوليو **1882**م، لعدم انصياعه لأوامره بالمثول أمامه بقصر رأس التين ومحملاً إياه مسؤولية التسبب في قصف الإسكندرية من قبل الأسطول الإنجليزي غير

التراخي في المواجهة وصرفه للجنود ليقضوا ليلتهم في التمايل مع الأذكار الصوفية للشيخ أحمد عبد الجواد القاياتي، وتسمية المدافع بأسماء أصحاب الطرق الصوفية مدفع السيد البدوي، ومدفع إبراهيم الدسوقي، ومدفع سيدي عبد العال، والانسحاب منها لكفر الدوار بقرار منفرد وهي مقدمات مهدت لدخول الإنجليز مصر في احتلال دام لأكثر من سبعين عاماً، وتشاء الأقدار أن تأتي وفاة أحمد عرابي باشا في شهر رمضان أيضاً في يوم 27 الموافق 21 سبتمبر 1911م..

أما عن عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، فقد كان له مع رمضان حادث فارق في تحديد مصيره، فقد قرر أن يقضي إجازته الصيفية في الآستانة، والتي تخللها شهر رمضان المبارك ليتعرض لمحاولة اغتيال في مطلع الشهر الفضيل على يد شاب مصري يدعى محمود مظهر لم تعرف دوافعه، حيث أجهز عليه الحرس العثماني، فمات وسره معه لكن الحادث وتزامنه مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، ودخول تركيا طرفاً في الحرب ضد إنجلترا وتعثر عودة الخديوي لمصر جعل إنجلترا تقوم بعزله معتبرة إياه مسانداً للباب العالي في الحرب ضدها.

في عهد السلطان حسين كامل كانت تقام الموائد للأعيان ومشايخ الأزهر، لكن انخراط السلطان في المناسبات الاجتماعية الشعبية كان محدوداً، ولم يكن مبعث ذلك قصر فترة حكمه فعلى الرغم مما كان يتمتع به السلطان من سجايا حسنة واهتمام بالزراعة والتعليم ومحبة في نفوس المعلمين

جعلته الأكثر حظاً في قصائد المديح في فرح الأنجال، إلا أن قبوله الحكم في ظل الحماية البريطانية على مصر أفرزت صورة سلبية عنه وألهبت الشعور الوطني ضده وتكونت الجمعيات السرية المناوئة لحكمه ووضعته هدفاً لعدد من محاولات الاغتيال هو ورموز حكمه ومنها هذه الحادثة التي حدثت قبل أيام قليلة من قدوم الشهر الفضيل في **9** يوليو عام **1915**م، وهو في طريقه لصلاة الجمعة بالإسكندرية بمسجد سيدي عبد الرحمن بن هرمز (نتحدث عنه لاحقاً) حيث ألقيت على موكبه قنبلة من شرفة أحد المنازل فسقطت بالقرب من المركبة التي كان يستقلها دون أن تنفجر وتدخل السلطان لتخفيف الحكم ضد المتهمين محمد نجيب الهلباوي ومحمد شمس الدين من الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة مراعاة لحداثة سنهما..

الطريف في عهد السلطان حسين كامل كان عادات زوجته السلطانة ملك (الزوجة الثانية للسلطان وأول سلطانة لمصر في عصرها الحديث بعد شجرة الدر في بدايات العصر المملوكي) الرمضانية إذ كانت تخرج في موكبها بفستان طويل لتوزيع النقود الذهبية على الأطفال، فكان كل طفل يقبل ذيل فستانها يحصل على صرة حريرية صغيرة تحوي عشرة ريالات ذهبية!

أما عهد الملك فؤاد فتميز بالصرامة فيما يتعلق بآداب الصيام وتقاليد رمضان ومراعاتها، فقد كانت صورة لوزير المعارف مراد سيد أحمد باشا وزير المعارف نشرتها إحدى الصحف وهو يدخن في نهار رمضان مدعاة

لإقالته بأمر الملك فؤاد.. وكان الملك فؤاد حريصاً على أداء الجمعة اليتيمة في جامع عمرو بن العاص وقد أوجز السياسي البارز علي باشا ماهر رئيس وزراء مصر الأسبق جوانب شخصية الملك فؤاد فيما يخص جوانب الدين والتقاليد واختلافها الجذري عن والده الخديوي إسماعيل بقوله لمجلة الاثنين والدنيا: "أحيا جلالته سنن الإسلام وتمسك بتقاليده ولم يسمح لتيار المدنية أن يجرف مصر، فأخذت من الغرب أحسن ما فيه وظلت أمينة على تقاليدها وتعاليم دينها". كما كان فؤاد يتفقد بنفسه قاعة الأكل قبيل حلول موعد المآدب الملكية في المناسبات الرسمية الاستثنائية، وكذلك بدل التشريفات التي كان يرسمها بنفسه لتليق بشكل مصر وسمعتها، وذلك بحسب رواية كريم ثابت بك عنه..

سؤال على الهامش: ترى كيف كانت نظرة عملاقي الأدب العربي للملك فؤاد وأقصد آراء ما قبل **1952** لأن الوضع كان مختلفاً، ويمكن العودة لكتاب نوستالجيا الواقع والأوهام!

فيما يخص العملاق الأول الدكتور طه حسين، فأكتفي بسرد إهداء نادر وضعه بباكورة كتاب له يقول فيه: "إلى صاحب العظمة فؤاد الأول سلطان مصر.. مولاي (لاحظ لغة الخنوع) يحفظ التاريخ ما لعظمتك من أثر محمود في إنشاء الجامعة وإحيائها، وأحفظ أنا ما تفضلت به من عطف علي وتشجيع لي على درس الأدب القديم وإذاعته فمن الحق أن أرفع إلى مقامك الجليل أول كتاب أنشره في أدب اليونان (لطالما أسميته عميد الأدب

اليوناني لا العربي) وأنا سعيد كل السعادة أن ارتاحت إليه نفسك الكريمة (أساساً الملك لا يجيد العربية) وانتفع به أبناء هذا الوطن العزيز. القاهرة في **20** ديسمبر **1920**."

أما عباس محمود العقاد فجاء رأيه: "ذلك حظ نادر في حظوظ الناجحين وذلك عقل نادر في عقول المالكين اجتمعا معاً في الملك فؤاد فكان تاريخه قبل الملك توفيقاً كله في التمهيد، وكان تاريخه بعد الملك توفيقاً نادراً يديره عقل نادر "وذلك بحسب العدد **8** من مجلة الهلال في **1** يونيو **1936**م.

اللافت في علاقة عملاق الأدب بالملك فؤاد أن دائماً ما كان يخالط ذهنه ويدور في خلده أن السبب في عدم قبوله بالوظائف الحكومية هو تهمة العيب في الذات الملكية عام **1930**، متهرباً من قبول الحقيقة الدامغة أن مؤهلاته لا تتناسب مع تطلعاته وأحلامه فالعهد الملكي وإحقاقاً للحق لم يكن يعاقب خصومه بقطع أرزاقهم ففي آخر ساعة **1938** نجد العقاد يذهب إلى محمد محمود باشا للتوسط لديه لتعيينه مدير مصلحة الصحافة مرة واحدة!! طبعاً حاول محمد محمود باشا تعيينه لكنه اصطدم بأن مؤهلات العقاد والتي لا تتعدى الشهادة الابتدائية لا تصلح للوظيفة ومن غير المعقول خفض درجة مدير مصلحة للدرجة الثامنة إرضاء للعقاد.

نعود لرمضان وعهد فؤاد، حيث بدأ البث الإذاعي الحكومي في مصر بالتعاون مع شركة ماركوني في **31** مايو **1934**م، وأصبح الناس في مصر

يستمعون لمشاهير قراء القرآن الكريم، كالشيخ محمد رفعت، وقارئة الإذاعة الشيخة منيرة عبده، حيث كان مسموحاً للقارئات في ذلك الوقت.

ومن المناسبات الوطنية الهامة في عهد فؤاد وصادفت شهر رمضان المبارك، الانتهاء من كتابة ومراجعة دستور الأمة أحد ثمار ثورة عام **1919**، وذلك في عصر يوم **3** رمضان **1341**هـ والموافق **19** إبريل **1923**م، حيث طلب الملك فؤاد من رئيس وزرائه يحي باشا إبراهيم إرجاء توقيعه ريثما يراجعه بعد الإفطار، وقد كان وتم توقيع الملك فؤاد عليه في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم، ثم قال بحسب شهادة سكرتيره الخاص محمود شوقي باشا: "الحمد لله لقد ارتحت الآن.. إن شاء الله يكون فيه الخير لمصر والمصريين ومبروك علينا جميعاً". طبعاً هذا بحسب صحف الماضي، ولكن حقيقة الأمر أن الملك فؤاد لم يكن ليرتاح مع دستور يحد من صلاحياته وسلطاته، لذا فقد عطله بعد ذلك واستبدله بدستور **1930** ليطلق يديه بحرية تامة...

وهل يصلح أن نمر على دستور **1923** في رمضان دون أن نشعر بالشكر والامتنان للشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية وأحد أعضاء لجنة الثلاثين التي وضعت هذا الدستور برئاسة عبد الخالق باشا ثروت أو لجنة الأشقياء بحسب وصف سعد زغلول باشا لأنها تكونت وهو في المنفى.. لقد أهدى الشيخ الجليل للدستور المصري الأول درراً لازالت تتلألأ في سماء الدساتير المصرية اللاحقة عليه كافة، إذ صمم بتأييد من

الملك فؤاد أن يتضمن الدستور هوية الدولة المصرية الإسلامية بشكل واضح وجلي لا لبس فيه من أن "الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع ومؤكداً على مبدأ الأمة مصدر السلطات".

وكان اختياره لمنصب المفتي على عهد السلطان حسين كامل لأنه لا يخشى في الحق لومة لائم، حيث حدث أن رفض رجاء الخديوي عباس حلمي الثاني أن يحكم في قضية لصالح عمه حسين كامل، وكان وقتها أميراً، فارتفعت منزلته في عين حسين كامل بعد توليه مقعد السلطنة واختاره لمنصب الإفتاء قائلاً: "إن القاضي الذي يرفض رجاء حاكم مصر إذا خالف ما يعتقد من الحق جدير بأن يتبوأ أكبر منصب علمي في البلاد!" وبسبب هذه الجرأة في الحق فقدَ منصبه، حيث حدث أن أرادت الحكومة في عهد رئيسها محمد توفيق نسيم باشا هدم مسجد أوقفه أحد الأثرياء لله للانتفاع بموقعه؛ فعرض الأمر على الشيخ الجليل فقال لهم: "إذا وافقكم ربه فلا مانع" فتحدثوا مع الثرى مشيد المسجد فوافق، ثم عادوا للشيخ ليصدر فتواه قائلين: "إن ربه قد وافق" فقال: "ومن ربه؟" قالوا: "الباشا فلان" قال: "ليس هو صاحبه الآن، فإنه أوقفه لله، وصار لله تعالى، فهو ربه الذي قلت لكم إن وافقكم فاهدموه"، وقد تحولت المسألة إلى تلاسن بين الطرفين حيث وصف الشيخ قرارات رئيس الوزراء بالصبيانية (لعب عيال)، وقد افتقر الشيخ للدبلوماسية المطلوبة في هذا الموقف حتى وإن كان

على حق فما كان من نسيم باشا إلا أن أصدر قراراً بإحالة المفتي للمعاش إذا بلغ السن القانوني وكان الشيخ قد تخطى هذه السن فكان أول الخارجين.

ورغم كل ما حكيناه من قصص وطرائف تظل الطقوس الدينية على عهد الملك فاروق لها مذاق خاص ونكهة مختلفة وهي الأكثر زخماً فيما يتعلق بمظاهر الاحتفاء بشهر رمضان المبارك، فقد كان فاروق يكثر من زيارة المساجد والاستماع للدروس الدينية ففي نوفمبر عام **1938**م، وخلال شهر رمضان نجده في أسبوع واحد يزور ثلاثة مساجد: هم مسجد السيدة زينب، ومسجد الحسين، فضلاً عن إحياء ذكرى جده محمد علي باشا الكبير بمسجد الرفاعي، كما سار على خطى والده الراحل الملك فؤاد في صلاة الجمعة اليتيمة، ففي العدد **838** من مجلة المصور في أول نوفمبر **1940**م، نجد صورة الملك فاروق وهو يؤدي صلاة الجمعة اليتيمة من مسجد عمرو بن العاص برفقة مصطفى النحاس باشا.

وكان فاروق حريصاً على إقامة الولائم والمآدب لجموع الشعب بساحة قصر عابدين في أوقات الإفطار والسحور، وكانت الدعوات عامة لجموع الناس من موظفين وطلبة وعمال وتجار وأعيان ورجال دين وعادة ما كان الملك فاروق يحضر هذه المناسبات بنفسه ويشاركهم تناول عصير قمر الدين وشراب الورد الذي كان فاروق يفضله على سائر أنواع الأشربة، وكانت الصحف في هذه الآونة تغازل جموع الشعب بهذه الحفاوة الملكية على شاكلة "سأذهب إلى قصر الملك لأسمع القرآن سندخل القصر جميعاً دون

أن يعترضنا أحد تنفيذاً لأمر الملك، لقد قال الملك: إنّ أبواب بيته مفتوحة لجميع رعاياه دون استثناء"، لكن المسألة على حقيقتها لم تكن بهذه البساطة على الإطلاق، فقد كانت الدعوات الملكية للموائد الرمضانية، خاصة لرجال السياسة تحدد قوائمها وأيامها بعناية وتكشف عن رضا القصر عن بعض الشخصيات الحزبية والنفور من آخرين مع الأخذ في الاعتبار التقلبات والموازنات السياسية من فترة لأخرى والتي قد تجعل من صديق الأمس عدو اليوم والعكس، وهذا ما نستطيع أن نكتشفه من مجلة آخر ساعة في عددها **228** في **13** نوفمبر **1938**م، حيث طرحت المجلة تساؤلات حول اقتصار الدعوة الملكية للوفديين على أسماء محددة دون أخرى منهم مثلاً: محمد المغازي باشا باعتباره رئيس اللجنة المالية بمجلس الشيوخ، ومحمود الأتربي باشا بصفته رئيس لجنة الزراعة ومحمد عبد اللطيف بصفته رئيس لجنة الصحة فيما لم يدع صاحب المقام الرفيع مصطفى باشا النحاس لأنه لم يقيد اسمه في سجل التشريفات بعد عودته من السفر كما تكشف المجلة أن الدعوات كانت قاصرة على المسلمين فقط دون الأقباط، فلم توجه الدعوة إلى مكرم باشا عبيد ولا كامل صدقي بك ولا حتى وزير التجارة والصناعة سابا حبشي بك لأنهم جميعاً أقباط!

أما عن نوعية الأطعمة المقدمة على المائدة الملكية، فبحسب مجلة المصور في عددها **1241** في **23** يوليو **1948**م والموافق **16** رمضان، وكان الملك قد أناب عنه إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس الديوان للحفاوة بضيوفه، فقد

كان الطعام المقدم مكوناً من المكسرات الجافة، ولحم الأوزي والأوز، والخضر والفواكه والكنافة، ونشرت المجلة صورة طريفة لأحد السودانيين معلقة بشرف تناوله الطعام على المائدة الملكية ونيله صورة جلالة الملك وقد طبعت بهذه المناسبة..

قصر رأس التين بالإسكندرية نال الحظوة الملكية أيضاً في إقامة المآدب الملكية ومنها ما أقيم بحسب مجلة المصور في **23** يونيو **1950**م، مع الأسبوع الأول من رمضان حيث أقيم سرادق يتسع لخمسة آلاف شخص وشهدت المأدبة الملكية العامرة بصنوف الطعام وألوانه حضور مصطفى باشا النحاس رئيس الوزراء (انظر تقلبات السياسة) وكان مريضاً فتمنى له الحضور الشفاء، وشاركت أيضاً وفود جامعة الدول العربية بملابسهم العادية والأمراء والوزراء، ورجال الأزهر، ووحدات الجيش بثكنات مصطفى باشا، فيما منعت سيدات الثغر من المشاركة في السرادق اتباعاً للتقاليد التي تمنع ذلك، فجلسن على الحشائش القريبة للاستماع للقرآن الكريم، وقام بالإمامة للمصلين الأمير عبد الكريم الخطابي (مجاهد مغربي ضد الاستعمار لقب بأسد الريف وطلب اللجوء لمصر) والشيخ محمود أبو العيون...

رمضان لم يكن في عصر فاروق مناسبة اجتماعية تجمع أقطاب السياسة ورجال الحكم والعامة حول المآدب الملكية بشتى أشكالها فقط، بل كان أيضاً فرصة لتوطيد العلاقات مع الأشقاء على المستوى الأقليمي والدولي

وهنا تكمن قوة مصر الناعمة ففي شهر رمضان من عام **1950** جرى استقبال أكثر من ألف طالب من طلبة البعوث الإسلامية من الهند والباكستان وأندونيسيا وتركيا ويوغسلافيا وجنوب إفريقيا وأوغنده، وذلك على الموائد الملكية بقصر عابدين ورأس التين، وكان في استقبالهم عبد اللطيف طلعت باشا وحسين حسني باشا وعمر رشيد باشا، كما ضمت أيضاً مشايخ الطرق الصوفية وأئمة المساجد والطلبة السودانيين بالأزهر، وكان الطعام المقدم فطائر بالجبن واللحم، وفول بالبيض وأوزي بالمكرونة ودجاج محمر، وسلطة وترولي على الطريقة الشرقية، وقطائف باللوز وفواكه، وذلك بحسب مجلة المصور في عددها **1344** في **29** رمضان الموافق **14** يوليو **1950**. وفي العدد **886** من مجلة المصور في **3** أكتوبر **1941** نجد الأزهر الشريف يستضيف عدداً من المدعوين إلى الاستماع للحديث الديني بصحبة الملك فاروق منهم: السيد محمد صادق المجددي وزير الأفغان، والسيد نوري السعيد باشا وزير العراق، والسيد علي أكبر بهمن سفير إيران، وكان من الحضور المصريين حسين سري باشا رئيس الوزراء، والدكتور حسين حسني بيك سكرتير الملك الخاص، وأحمد حسنين باشا رئيس الديوان.. ما نستطيع أن نكتشفه من المجلة في هذا العدد أن القصور الملكية لم تكن ساحات مفتوحة للفقراء المدقعين في المآدب الملكية الرمضانية كما يشاع، بل خصص في هذا العام أماكن للفقراء، حيث تابع محافظ القاهرة السيد محمد شاهين بك المآدب المقامة للفقراء في

مطعم فاروق الأول، وكانت تُقدم لهم حلوى لقمة القاضي، وحصة الأسرة من الخبز ثمانية أرغفة كاملة. كما استضافت المآدب **3000** فقير، تناولوا فطورهم في مطاعم الشعب ومطعم الأميرة فائزة بالأزهر وغيرها من الأماكن المجهزة الأخرى فيما ألغيت المآدب الخاصة للكبراء والعظماء في العام ذاته بحسب المجلة..

فكرة لا تختلف تماماً عن "الكراتين الرمضانية" التي يزدحم حولها الفقراء في الأزمنة اللاحقة.

بحسب مجلة الدنيا المصورة، العدد **131** في **28** يناير **1931**، فقد جرى افتتاح مطاعم الفقراء للمرة الأولى في عهد إسماعيل صدقي باشا في **17** يناير **1931**م، وكان الفقير يحصل على وجبة مكونة من رغيف كبير وصحن من الخضار أو العدس مع الأرز الرشيدي والسمن البلدي مقابل تذكرة أو قسيمة بقرش صاغ واحد (ليس مجاناً كما يزعم البعض اليوم) توزع على أقسام البوليس (تصور) وعادة ما يتكفل بشرائها المحسنون ليوزعوها على الفقراء، وكانت تقدم بثلاثة مطاعم: أولها بمساكن العمال بحي زينهم التابع لقسم السيدة زينب، والثاني بحي الخضيري بشارع مراسينا التابع لقسم السيدة زينب أيضاً، والثالث بميدان سيدي عبد الجواد الجوابر بملك الحاج سيد محمد بقسم بولاق، وكان الطعام يقدم ثلاث مرات على مدار اليوم وما يتبقى من الدفعة الثالثة يوزع مجاناً على

الفقراء بلا ثمن، وهذا أقصى مبالغ الرحمة والشفقة على الفقراء في قاموسهم الأخلاقي!

إنهم للأسف الشديد يشعرونك في هذه الأزمنة وكأن الفقراء كائنات تعيش بكويكب متاخم لكوكب مصر وليسوا الغالبية العظمى من سكانها، ويكفي أن تقرأ إعلاناً لشركة نحاس فيلم عن فيلمها "أولاد الفقراء" بسينما الكورسال الفخمة بشارع عماد الدين بداية من الاثنين **31** أغسطس **1942** لتدرك صواب ما أقول.

يقول الإعلان: "مليكنا المحبوب يعطف على الفقراء! وأمراء البيت المالك يواسون الفقراء..! ووزراء الدولة يعالجون مشاكل الفقراء..! وحرم رفعة رئيس الحكومة قدمت مشروع أسبوع البر من أجل الفقراء..! ويوسف وهبي وصل إلى المجد عن طريق الفقراء!" ولا أملك سوى أن أقول شكر الله سعيكم جميعاً ولا عزاء للمساكين الفقراء.

لا تندهش يا عزيزي، زمان كانت يخصص دخل بعض الأفلام لمساعدة الفقراء، فمثلاً فيلم إلى الأبد ويوم واحد، خصص دخله لمساعدة فقراء قنا وأسوان وظهر الملك يحي الجماهير أثناء العرض بحسب الاثنين والدنيا العدد **516** في **1** مايو **1944!**

مع أول رمضان بعد الحرب العالمية الثانية عام **1945** وقد صادف شهر أغسطس في ذاك العام واكتواء الشعب بلهيب آثارها الاقتصادية والاجتماعية، وقد خرجت الصحف المصرية بصور طريفة عن استقبال

البسطاء لخبر انتهاء الحرب ومنها قبلة لرجل بسيط على جبين حماره الذي يمثل كل رأس ماله قبل وبعد الحرب العظمى ومع استقبال العالم للولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى صاعدة بدأ فاروق يفكر في التحول من ربط عملته (الجنيه) من الجنيه الإسترليني إلى الدولار كمظهر من مظاهر الاستقلال عن بريطانيا وكعربون للصداقة مع القوة الأمريكية الصاعدة كما بدأ الاهتمام بالجيش المصري يأخذ شكلاً أكبر وأوسع لديه، فجمعت المأدبة الملكية الرمضانية في ذاك العام الملك فاروق بمعالي الأستاذ سيد سليم وزير الدفاع الوطني وسعادة الفريق عمر فتحي باشا كبير الياوران في قصر رأس التين كما ظهر الملك في أثناء استماعه لآيات الذكر الحكيم في قصر رأس التين مع الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف والفريق إبراهيم عطا الله باشا، واللواء عبد الله النجومي باشا وجمع من ضباط الجيش والحرس بحسب مجلة الاثنين والدنيا العدد **584** في **20** أغسطس **1945**م.

يقولون في المثل: "كل يغني على ليلاه" (الأصل في هذا المثل أن الأصمعي سأل أحد الأعراب من بني عامر عن مجنون ليلى، فقال له الأعرابي: عن أيهم تسأل؟ في إشارة لكثرتهم) وهذا حقاً كان حال بعض أميرات البيت العلوي مثل الأميرة شيوه كار الزوجة السابقة للملك فؤاد (تحدثنا عن مقبرتها في كتاب حكايات من بحور التاريخ وعن حجم ثروتها في كتاب تاريخ حائر بين بان وآن) والتي وجهت الدعوة في رمضان من العام (**1945**م) نفسه،

باعتبارها رئيسة جمعية مبرة محمد علي الكبير إلى حضرات أصحاب الدولة والمعالي والسعادة والعزة مستشاري الجمعية ومحافظ العاصمة ورجال الصحافة ومفتشي الداخلية والخبراء المحاسبين هيوارت بربدسون ونبوبي لحضور حفلة سحب النمر الرابحة من تذاكر سباق الخيل بمستشفى المبرة بمصر الجديدة، حيث يقام سرادق فخم بفناء المستشفى للسحب علناً في السادسة مساء يوم **3** سبتمبر **1945**م.. تصور يا عزيزي تمويل الأعمال الموجهة في أوجه الخير والنفع العام من أموال تحمل شبهة القمار والرهانات العبثية في العشر الأواخر من رمضان!

وعلى خطى ولائم الملك الرمضانية سار رجال السياسة والاقتصاد في عهده ففي عام **1938** مثلاً نجد مصطفى باشا النحاس زعيم الأغلبية ورئيس حزب الوفد يقيم عدة ولائم خلال الشهر الفضيل واحدة لأصهاره من عائلة الوكيل وأخرى لأشقائه من عائلة النحاس، ثم ولائم لأعضاء حزب الوفد وأعضاء الهيئة الوفدية وكان يحرص على صلاة المغرب والعشاء في جماعة طوال شهر رمضان وكذلك قراءة القرآن يومياً قبل الفجر لكن شهر رمضان الموافق أكتوبر **1941** شهد واقعة غريبة بعض الشيء وهي اعتذار مصطفى باشا النحاس عن إقامة المآدب الرمضانية المعتادة لأعضاء حزب الوفد والهيئات الوفدية لمجلسي الشيوخ والنواب في منزله كما اعتذر أيضاً عن دعوة لمأدبة رمضانية وجهت له من أعيان الجيزة برئاسة الشيخ أحمد أبو الفضل الجيزاوي والطريف في الأمر كان تعليل النحاس في هذا الصدد

(بحسب مجلة المصور) إذ قال: "إنني ألغيت مآدب رمضان عملاً بالاقتصاد في هذه الظروف التي ينبغي فيها لكل مصري أن يقتصد ولأضرب المثل لإخواني المصريين فإننا مقبلون على أيام عصيبة لنسأل الله أن يشمل الله فيها مصر بعنايته ورعايته، وما دمت قد ألغيت المآدب لهذا الغرض فإنني لا أستطيع أن أقبل من غيري أن يقيم لي مآدب في رمضان، بل يجب أن يقتصد وأن يساعد غيره من الفقراء إذا كان عنده فضل من الرزق". وجه الغرابة في الأمر أن ظروف مصر الاقتصادية عام **1941**م، وحال الفقراء لم يختلف قبلها ولا بعدها والعالم بين حربين عالميتين أثّرتا على مصر وغيرها من الدول بشكل كبير، فما الذي جدَّ على المآدب الرمضانية يحلّلونها عاماً ويحرمونها عاماً! فهل الدعاية الحزبية وأعراضها هي السبب؟ ربما..

أما الاقتصادي البارز طلعت حرب باشا وعلى الرغم من ظروف مرضه في تلك الآونة (**1938**م) فقد كان حريصاً على إقامة الولائم واستقبال ضيوفه وقد وصل العدد إلى أكثر من ستمائة شخص من موظفي البنك والشركات والصحفيين..

وفي العدد **637** من مجلة الاثنين والدنيا في **26** أغسطس **1946** وتحت عنوان "إطاعة لأوامر الله.. وتحقيقاً لرغبة الفاروق"، فقد قامت مصانع المرحوم محمد حسين الرشيدي الحلواني بالسيدة بإحياء ليالي الشهر الفضيل عبر إلقاء الدروس الدينية من كبار الوعاظ، وإقامة المآدب لعمال المصنع وأشرف على الترتيبات مديرها الأستاذ محمد كامل عزت..

وعلى المستوى الشعبي تجلت مظاهر التكافل الاجتماعي وتضافر الجهود المجتمعية في الترفيه عن المساكين في تلك الآونة بشكل جلي مع قيام كلية العلوم بالجامعة المصرية في سابقة هي الأولى عام **1938**م، بإقامة حفلة خيرية لصبية ملجأ الحرية، حيث تبرع طلبة الكلية وأساتذتها واتحاد الجامعة بنفقات الحفل. شهد الحفل جلوس الصّبية المساكين مع طلبة وطالبات الكلية على مائدة واحدة، وتضمن الحفل قبل الإفطار قيام طلبة الجامعة بممارسة لعبة كرة السلة بساحة "الباسكت بول" وكان الجمهور من صبية الملجأ يشاهدون المباراة، وحينما طلب أبناء الملجأ لعب الكرة أجيب طلبهم فوراً وخُصّصَ لهم مكان مغطى بالحشائش لهذا الغرض، وحينما حان وقت الإفطار اتجهوا جميعاً إلى غرفة الموائد حيث الاستماع للقرآن الكريم وتناولوا الطعام معاً، وكانت الكنافة الشهية خاتمة الطعام، ثم أعطى الطلاب كل طفل فانوساً، وبعد ذلك بدأت حفلة السمر، وفقرات أداها طلبة الجامعة للترفيه عن الصبية من فكاهة ومنولوجات واسكتيشات وأناشيد. كما سمح للصبية بأداء بعض الأناشيد وسط فرح الصبية وعدم توقفهم عن الضحك والمرح، ثم انفض الحفل وعاد الصبية إلى ملجئهم في التاسعة مساءً سيراً على الأقدام وفي أيديهم الفوانيس فرحين، وتبرعت جمعية النهضة الاجتماعية بالكلية والتي تضم طلبة ومدرسين بعشرة جنيهات لشراء ملابس العيد لصبية الملجأ، وهو ما جاء في مجلة المصور في عددها **735** في **11** نوفمبر **1938**م.

كانت الدعوة لإنشاء ملجأ الحرية في الماضي من منطلق مبادرة أهلية تبناها عبد العزيز بيك نظمي، وقد توافد قطاع عريض من ذوي المقامات والأطباء والأدباء والأعيان والموظفين للاكتتاب لهذا المشروع بدار الأوبرا السلطانية في **16** مايو **1919** م، وقد تبرع له الأمير يوسف كمال ب **400** جنيه مصري، وذلك بحسب مجلة اللطائف المصورة في عددها رقم **224** في **26** مايو **1919**م.

وحول عادات بعض رجال الدين في العهد الملكي فمن المناسب في هذا المقام أن نتحدث عن عادات الإمام محمد مصطفى المراغي، شيخ الأزهر في شهر رمضان أنه كان يختلي للعبادة في الشهر الفضيل من الظهر حتى يحين موعد الإفطار فلا يقابل أحداً ولا يسمح لأحد من أسرته أن يقطع عليه خلوته، كما كان يشتري عدداً من السُبحات ويوزعها على معارفه وتلاميذه مع بدايات الشهر..

وحينما مرض الشيخ المراغي كان بحاجة إلى الثلج لإسعافه، وكانت الكميات بالمستشفى قليلة والوقت متأخراً، وراح الأطباء يبحثون عن الثلج في كل مكان فإذا بهم يفاجَؤُون بوصوله من قصر رأس التين وفي جنازته من ميدان الإسماعيلية حتى جامع الكخيا، ارتدى النقراشي باشا وعبد اللطيف باشا طلعت ومكرم باشا عبيد والأستاذ سيد سليم الردنجوت الأسود (البدلة الرسمية) واللواء رسل باشا بملابسه الرسمية، وهذا يدل على مبلغ التكريم الذي حظي به الرجل أثناء مرضه وبعد وفاته، وذلك بحسب

مجلة المصور في عددها **1080** في **31** أغسطس **1945**، وهو الشهر الذي مات فيه الشيخ الفاضل رحمه الله (طبعاً هذا يدحض الروايات الزاعمة أن فاروق حاول قتل الشيخ لرفضه تحريم زواج فريدة بعد طلاقه منها وفاروق لم يكن في خلافه مع أحد قاتلاً، وهذا إحقاق للحق).. وعن عادات أحمد زيور باشا (راجع كتاب تاريخ حائر بين بان وآن وعلى هامش التاريخ والأدب) بحسب المجلة في العدد نفسه أنه أول رئيس وزراء يقوم بتطهير المصروفات السرية وذلك بصرف الصدقات منها والأنفاق منها على الأعمال الخيرية.

وفي تقرير طريف نشرته مجلة المصور في عددها **838** في أول نوفمبر **1940**م ترصد معاناة أصحاب الكيف من المدخنين في شهر الصيام وهم الفئة الأكثر معاناة وتنقل المجلة طرائف حول المدخنين من رجال السياسة والدين في هذا العهد، فالنائبُ عبد الحميد عبد الحق (محامٍ بارز شغل منصب نقيب المحامين ومناصب وزارية كالشؤون الاجتماعية والأوقاف والتموين)، اشتهر بالتدخين الشفوي!! فعلى الرغم من إقلاعه عن التدخين إلا أنه لازال يحمل بين أصابعه السيجارة ولا يشعلها وتبقى في يده، ثم يلقيها في الطقطوقة ليدخن غيرها شفوياً شريطة أن تكون مصرية الصنع.

ومن أكثر أعضاء البيت المالك ولعاً بالسيجار، سمو الأمير إسماعيل داود مدير سلاح الفرسان فيما تحدثت المجلة عن عادات إسماعيل صدقي باشا رئيس وزراء مصر الأسبق مع التدخين فهو "كييف من طراز عجيب" يدخن بإرادة قوية من **6** سجائر إلى **60** سجارة يومياً، فيما نعتت المجلة أحمد خشبة باشا (شغل مناصب وزارة عدة كالحقانية والمعارف والحربية والمواصلات والخارجية والداخلية) وجعفر ولي باشا (من مؤسسي النادي الأهلي وشغل مناصب وزارية كالأوقاف والحربية) بفرسا رهان بالتدخين إذ يدخن كل منهما مائة سيجارة يومياً**!**

أما الشيخ مصطفى عبد الرازق (شغل منصب وزير الأوقاف لثمان مرات ومنصب شيخ الأزهر) فعلى مكتبه بحسب المجلة تشكيلة من أنواع السجائر يلفها بيديه أو بواسطة علبة أوتوماتيكة لا تفارقه ومن عاداته أنه يلقي السيجارة بعد نفسين أو ثلاثة.

لا ضير وقد اقتحمنا عالم السياسة والسياسيين من أن نسوق قصصاً طريفة تنقل لنا صوراً جلية من حرية الصحافة في هذه الأزمنة، وكيف كانت تدخل في مشاكسات ومشاغبات مع الساسة برحابة منهم أحياناً ورغماً عنهم في أوقات كثيرة..

ففي مجلة آخر ساعة في عددها **187** في **30** يناير **1938** نجدها تحدثنا عن إسماعيل باشا صدقي وكيف أنه لا يحمل في جيبه أكثر من ريال على الرغم من ثرائه، وأن وفداً من طلبة الجامعة أتوا لزيارة حزبه (حزب الشعب) عام

1931 للحصول على تبرعات لمشروع القرش وبينما أعضاء الحزب يخرجون خمسة أو عشرة جنيهات فما كان من الباشا إلا وأن أخرج خمسة عشر قرشاً هم كل ما في جيبه!!

أما مجلة الاثنين في عدد الصيف عام **1941**، فقد قررت أن تمازح الرجل الصارم عن طريق ابنه فتحت عنوان "ابن الوز عوام" تحدثت المجلة عن عادل أصغر أبناء صدقي وقد قرر أن يلحقه بمكتب مزراحي باشا للتمرين على أعمال المحاماة بعد أسبوعين فقط من تخرجه وكانت التعليمات لعادل بالتواجد في المكتب يومياً قبل وصول زنانيري باشا بنصف ساعة فلما علم عادل أن زنانيري باشا يحضر في السابعة صباحاً قال: "وعلى إيه التعب.. أنا رايح أنام في المكتب علشان أصحى في الميعاد!!"

فيما نعتت مجلة آخر ساعة في عددها **188** في **6** فبراير **1938** الوزير أحمد خشبة وكان وقتها وزيراً للحقانية بالوزير المغرم بالحلاوة الطحينية والتي يعكف عليها لتهدأ أعصابه وقت اشتداد أزمات وزارته! وحدث أن وصف له أحد الأطباء الكمثرى لضعف معدته فإذا به يسرف في استخدامها لدرجة أنه أكل ثلاثة أوقات منها ليستدعوا له الطبيب مرة أخرى على عجل وذلك بحسب مجلة آخر ساعة في عددها **187** في **30** يناير **1938**.

أما عبد الفتاح باشا يحي ومن مجلة آخر ساعة في عددها **187** في **30** يناير **1938** وكان وقتها يشغل منصب وزير الخارجية فكان يكره حلاقة الشعر

خوفاً من العدوى والأمراض، وكان يرتدي الملابس الثقيلة صيفاً وشتاءً خوفاً من التيارات الهوائية وتلازمه أقراص الأسبرين..

ومن الساسة إلى الواقع الشعبي وهموم الناس في رمضان العهد الملكي وليس هناك ما هو أشق على الأسرة من جو الامتحانات في رمضان لكن الواضح أن حال طلاب الأمس ليس بمختلف عن طلاب اليوم وربما الغد ففي العدد **1393** من مجلة المصور في **18** رمضان الموافق **22** يونيو **1951** نشرت المجلة تقريراً عن عجائب أوراق الامتحانات فمثلاً: طالبان في مدرسة شبرا الثانوية أيقنا مبكراً بالرسوب في إحدى المواد؛ فاتفقا على كتابة عبارات فاحشة في ورقة الإجابة، فقرر محمود سليمان غنام باشا وزير المعارف بالإنابة حرمانهما من امتحان الدور الثاني وفصلهما من المدرسة. أطرف ما جاء بالتقرير هو انتقام طالب بالابتدائية من أبيه بعدم الإجابة على الامتحان، وذلك لرفضه أن يشتري له بدلة جديدة أسوة بابن عمه! خطابات الغرام على أوراق الإجابة كان لها أيضاً مساحة في هذا العهد، وحسبنا خطاب طالب توجيهي إلى "سوسو" قائلاً: "إليك يا سوسو أوجه الحديث وإليك وحدك دون سواك.. أنا لا يهمني مطلقاً أن أنجح في الامتحان أو أرسب بقدر ما يهمني أن أنجح في تحويل قلبك إلى ناحيتي وعدم التعرف بأحد سواي" ومن روميو وسوسو إلى اعتراض طالبة ثانوي على أسئلة الامتحان وأنها ألغاز "شوية كتابة وخلاص". لم تخل أيضاً أوراق إجابة الطلاب من غمزات سياسية وقد كان زمنهم به حراك سياسي قوي فنجد

سؤالاً لأحد الطلبة "أين السودان؟" و "أنت سامع يا حضرة الممتحن ولا عامل ودن من طين وودن من عجين؟".. الأزمات النفسية التي تتمكن أحياناً من الطلاب وتجعلهم فريسة للرسوب بشكل مستمر، مما يفقدهم الأمل بالحياة لم تكن أيضاً غائبة، فقد كتب أحد طلبة التوجيهي ناعياً نفسه "إنا لله وإنا إليه راجعون" وقد فقد الأمل في النجاح بعد رسوبه أربع مرات سابقة في الامتحان معلقاً على ذلك بقوله: "لقد حاولت جهدي أن أعرف نتيجة كفاح الإنسان وكده وتعبه في الحياة فلم أصل إلى شيء."

طبعاً هذا في عهد وزير المعارف الهمام صاحب الجملة الإنشائية البديعة "العلم كالماء والهواء" الدكتور طه حسين، ولكن الواضح أن هذه الجملة عنده لم تتسع لرياض الأطفال، حيث رفضت رياض الأطفال في العام (1951) نفسه، قبول من يقل عمره في أول أكتوبر عن ست سنوات بالضبط كما أنه ربما نسي أن يضع خطة لاستيعاب الطلبة بالمدارس، فنجد بعض المدارس في القاهرة قد استعانت بالبوليس لتفرقة الأطفال والآباء والأمهات الباحثين عن أماكن لأبنائهم، واستخدمت في تفرقتهم عصا المظاهرات!! وقد اضطرت مدرسة محمد علي الابتدائية لإجراء امتحان للمتقدمين للسنة الأولى وعددهم **650** طالب، لا توجد لهم أماكن لا لامتحان القبول ولا الدراسة!! وذلك بحسب مجلة آخر ساعة في عددها **884** في **3** أكتوبر **1951** م وقد جاء عنوانها "الجيل الجديد في علب سردين.."!!

إذاً لقد ظلمنا مسرحية مدرسة المشاغبين معنا، وواقع التعليم أمس واليوم يحتاج إلى مشروع لتطويرٍ شاملٍ ومتكاملٍ وذي رؤية ممتدة وما احتواه التقرير الماضي لا يختلف في فحواه عما كتبه الأستاذ عطية الإبراشي المراقب بوزارة المعارف في مجلة مسامرات الجيب/ العدد **203** في **29** مايو **1949**م، تحت عنوان "في أوراق الأمتحان ما يضحك (خطأ إملائي طريف ربما من المجلة أو من كاتبه والصواب الامتحان)" يحكي عن إجابة أحد الطلبة على سؤال عن شعر أبي نواس ولأنه لا يعرف من شعره شيئاً سوى الديك، فكتب "إن نطق الديك شكك أديك" و"أهو ديك وخلاص" وكتب طالب آخر في أوراق إجابة اللغة العربية، وكان قد سلمها بعد ربع ساعة فقط من الزمن المخصص "عزيزتي زوزو... لقد كنت ملهمتي ومهبط وحيي.. ولقد وضعت بين يديك مستقبلي، بل كل كلمة أكتبها أعتقد أنها لك، ولما كنت أعيش من أجلك، فقد يكفيني أن أسجل حبي لك في تلك الورقة التي تفصل بيني وبين النجاح".

حري بنا بعد هذه الجولة بين ثنايا تاريخ الأسرة العلوية وشهر رمضان ورجالات الحكم في ذلك العصر أن نختتمها برمضان الأخير في مايو **1952**م قبل زوال العهد الملكي برمته بعدها بشهرين فقط ومن مجلة الإذاعة المصرية، فقد شهد شهر رمضان في هذا العام احتفال الملك فاروق المعتاد بذكرى جده محمد علي باشا بمسجد فاروق الأول بالمنتزه، واستمع لكلمة وزير الأوقاف وتلاوة القرآن الكريم، وتقدم الفريق حسين فريد

بيك فلثم يده الكريمة، كما سلطت الأنوار القوية طوال أيام الشهر الفضيل على تمثالي إبراهيم باشا ونهضة مصر فيما أناب فاروق محافظ العاصمة كامل بيك القاويش لحضور المآدب المعتادة للفقراء وعامة الناس، وشهد الشهر الفضيل جلسات المحكمة العسكرية العليا للمحرضين على حريق القاهرة في **26** يناير **1952**م، وفي مقدمة المتهمين أحمد حسين والذي أضرب عن الطعام بحسب ما أوردته المصور في عددها **1442** في **30** مايو **1952**م والموافق **6** رمضان. كما جمع رمضان الأخير بالعهد الملكي دولة رئيس الوزراء نجيب الهلالي باشا مع الأشقاء السودانيين في فندق سيسل ورئيس وفدهم السيد عبد الله الفاضل وهو من أحفاد المهدي الكبير وله زوجتان مصرية وسودانية، وكان السحور بالشاي المحوج وذلك بحسب العدد **1444** من المصور في **20** رمضان الموافق **13** يونيه **1952** ومن رمضان الأخير أيضاً بالعهد الملكي، ونأتي على ذكر برامج الإذاعة وماذا كان يستمع إليه الناس في هذا الشهر الكريم ومن مجلة الإذاعة المصرية نلتمس الإجابة: فقد كانت برامج الإذاعة شديدة التنوع بين إذاعة القرآن الكريم بأصوات مشاهير القراء مثل: الشيخ محمد رفعت، والشيخ محمد الصيفي، والشيخ أبو العينين شعيشع، والشيخ زكي محمد شرف، وتلاوات بإذن ملكي من قصر رأس التين. وكان الأذان يرفع بأصوات المشايخ عبد الرحمن عبده وعبد العظيم زاهر ومحمود خليل الحصري، كما كانت الإذاعة تعرض نشيد الأسرة العلوية بصوت أسمهان والسلام الوطني

وموسيقى الخيالة الملكية بقيادة الصاغ محمد يوسف وفرقة موسيقى المدفعية الملكية وفقرات غنائية عدة بأصوات مأمون الشناوي ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفؤاد السيد وهدى سلطان وحسن عبد الوهاب وشادية وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وعلى صعيد البرامج فمن أطرفها ركن الجيش والثقافة العسكرية للجميع بإشراف أركان حرب محمد كمال عبد الحميد وحديث الصيام لصاحب العزة محمد عبد الرحمن الجديلي بيك، وحديث العصر للشيخ عبد الله المراغي ومائدة رمضان للسيدة نظيرة نقولا.

لكن ألا تلاحظون معي غياب قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت عن أثير الإذاعة؟!

الحقيقة أن هذا يتحمل الشيخ نفسه شطراً منه إن صح أن مخاوف كانت لديه من تسجيل تلاواته لأن ذلك يجعل الناس يحجمون عن إحضاره في الحفلات والمناسبات والاكتفاء بصوته في المذياع وقيل: إنّ دوافعه كانت دينية محضة لخشيته من أن يمس الأسطوانات شخص غير طاهر أو تذاع في الحانات ونوادي القمار وقد كان الشيخ رحمه الله غيوراً محباً لدينه وهو صاحب العبارة الشهيرة: "قارئ القرآن لا يهان" حينما رفض كل أوجه المساعدات المادية المقدمة له أثناء مرضه..

لكن في رمضان عام **1950** وبعد أن غيب الموت الشيخ الجليل في العام ذاته حاولت الإذاعة اللاسلكية التفاوض مع ورثة المرحوم زكريا مهران

باشا (أحد أعيان مركز القوصية في أسيوط وعضو مجلس الشيوخ المصري) على شراء الأسطوانات التي سجلها بصوت الشيخ والتي اتضحت سلامتها من الناحية الفنية لكن فترات الصمت (أخذ النفس) بين الآية والآية كانت أطول مما ينبغي، فهل هذا هو السبب الذي أطال أمد جمع تراث الشيخ محمد رفعت في مصحف مرتل شبه كامل حتى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ضمن مجموعة من المصاحف المرتلة؟! ربما يستغرق الأمر بعض البحث للوقوف على إجابة لهذا السؤال في ضوء البيروقراطية المصرية المعهودة!

ومن رمضان للعيد ونأتي على ذكر ألطف العيديات بعد الشهر الفضيل وما طالعتنا به مجلة آخر ساعة في عددها **719** في **4** أغسطس **1948** ففي خضم حرب فلسطين وبينما القائد العام ووزير الحربية (محمد حيدر باشا) يفاجئ قواته على الجبهة بنقل كعك العيد إليهم بالطائرات في صناديق كبيرة كل منها يحوي مائة علبة وفي كل علبة كعكتان وقطعتان من الغريبة كتحية عيد من أرض الوطن وبينما سليم زكي حكمدار العاصمة يعاقب جندي بوليس لديه وجد نائماً وهو يحرس مكتب تلغراف عدلي باشا بالقبض عليه وتسليم البندقية والطلقات التي بحوزته، ففي المقابل قررت المجلة أن تهدي السياسيين ورجال الحكم في البلاد عيديات من نوع مختلف عبر مزج وجوههم بأجساد حيوانات على سبيل المزاح والتحليل السريع لطبائعهم وكأن المجلة تستبق زمنها وبرنامج "الفوتوشوب" ففؤاد

باشا سراج الدين أخذ شخصية "سيد قشطة" وحيرته بين الماء واليابسة تماماً كحيرة الباشا بين الوفد وخصومه والحيرة الجامعة بين خصال البساطة والدهاء والخوف والإقدام.. أما عبد الفتاح باشا يحي فتظهره المجلة بشكل "النعامة" التي تخفي رأسها في الرمال نظراً لرغبة الباشا في الاختفاء بعد كل حركة سياسية (لاحظ التفاوت العلمي بين الأمس واليوم فالنعام لا يخفي رأسه في الرمال خوفاً أو جبناً أو عجزاً من مواجهة مشاكله بل العكس هو الصحيح فالنعامة ضعيفة الإبصار، لكن حباها الله بقدرة على التنصت على وقع أقدام الحيوانات المفترسة المتربصة بها عبر دس رأسها في الرمال وتتبع الذبذبات المصاحبة لخطى الحيوانات المفترسة وتحديد اتجاهها، فقد خبرت أن انتقال الصوت في المواد الصلبة أسرع بكثير من انتقاله في الهواء). أما الفيل الصغير الذي يكره اللف والدوران ولا ينسى الإساءة ويصبر على أصدقائه وخصومه معاً، فهو محمود فهمي النقراشي باشا (تصور أنه كان رئيس الوزراء وقتها) فيما اختارت المجلة لإسماعيل صدقي من الحيوانات "السبع العجوز" الذي يلعن الزمن (طبعاً صحف زمان لم تكن تتحرى الدقة الدينية فيما يقال وفيما لا ينبغي أن يقال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قال: أنا الدَّهْرُ، الأَيَّامُ واللَّيالِي أُجَدِّدُها وأُبْلِيها، وآتِي بِمُلوكٍ بعدَ مُلوكٍ"، (الذي وضعه في مكان واحد مع باقي الحيوانات)، ومن صفاته أنه يخافه خصومه ولا يأمنه أصدقاؤه أما شريف صبري فهو الغزال النافر الذي يميل للابتعاد عن الناس

وينشد مكاناً هادئاً. أما مصطفى النحاس باشا فهو كزعيمة القرود "بخيتة" وغرامها بضرب القرود الصغار ليخضعوا لسيطرتها وينحنوا لعظمتها...

أما عن عيديات الشعب فلها شأن آخر وأي شأن ففي العدد **990** من مجلة المصور في **1** أكتوبر **1943** والموافق **2** شوال والملك فاروق يقود طائرة أمريكية بنفسه إلى الإسكندرية، ثم يعود بها للقاهرة بصحبة الميجر جنرال روبس قائد القوات الأمريكية بالشرق الأوسط وسط تهليل من كريم ثابت صحفي الملك على المجلة لهذا الحدث الجلل وعلم الملك بالميكانيكا وأسرارها وخفاياها!! كان الشعب في المقابل يحتفل مع الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية بمشروع الحكومة للقروض الجديدة!! وذلك عبر تحويل الديون الدولية إلى ديون داخلية من خلال طرح قروض الدين العام في السوق المصرية بما يفسح المجال أمام أصحاب الأموال لاستخدامها بفوائد مقبولة بدلاً من إيداعها بالبنوك التي لا تدر فوائد تذكر..

سؤال على الهامش: ما هي أعظم العيديات بالعصر الملكي؟!

اعتبر أن ما أقدم اللاجئون الفلسطينيون عليه في عيد ميلاد الفاروق عام **1949** من جمع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه وتقديمها إلى اللواء أحمد فؤاد صادق بيك القائد العام للقوات المصرية للترفيه عن قواته هو أعظم هدية قدمت للجيش المصري، فما كان من القائد المصري إلا أن شكر لهم هذا التكريم وأضاف هو والإدارة المصرية للمبلغ مبلغاً مساوياً له ليصبح المبلغ

5500 جنيه، أمر بإنفاقها للترفيه عن الأشقاء الفلسطينين في شكل شراء كميات كبيرة من اللحوم والحلوى وزعت على معسكرات اللاجئين في حضوره داعين للفاروق وجيشه المظفر بحسب ما جاء في مجلة المصور.

****

مسجد مرضعة قلاوون

"يا ولية عيب اختشي.. يا شبه إيد الهون ..
ده أنت اللي زيك مشي.. يا "مرضعة قلاوون"
بهذه الأبيات السابقة من شعر العامية هجا الشاعر الفاجومي أحمد فؤاد نجم كوكب الشرق أم كلثوم وأياً كانت دوافع نجم إلا أن التنمر على الناس والحط من أقدارهم مهما كان الخلاف ليس من شيم الإسلام ولا من المقاصد الحميدة، لذلك فما يستوقفنا في أبياته وحسب هو اختياره التشبيه "مرضعة قلاوون" ذلك الوصف المستمد من التراث الشعبي الذي يطلق على "المرأة الحيزبون (الداهية)" أو "العجوز الشمطاء" والذي ترسخ في الوجدان الشعبي بصورة سلبية وعدائية تجاه صاحبته الأولى.
فمن يا ترى مرضعة قلاوون هذه؟! وما قصتها وهل تستحق حقاً هذه الصورة السلبية عنها!!
إنها السيدة المغولية صاحبة الوفاء النادر وصاحبة الأسماء الأربعة في الوقت ذاته، فاسمها الأصلي "جلشانة" أي "(شان) بمعنى (مثل) و(جل) بمعنى (الورد)" بالفارسية وعرفت في مصر باسم الست مسكة (طيبة الرائحة) وباسم آخر هو "حدق الناصرية" وقيل: إن (حدق) كانت جارية أخرى غير (مسكة) والاثنتان عاشتا بالظروف نفسها، فيما يقال: إن حجة

وقفها حملت اسم رابع لها هو "برهة" وهي صاحبة المسجد الشهير بحارة فقوسة المتفرعة من شارع سوق مسكة أو حكر حدق بحي السيدة زينب.
وقد صار المسجد مدرسة لعلوم الفقه الشافعي والحنفي ويعود تاريخ بنائه بين عامي **1339**م و**1340**م، والعام الأخير هو الذي شهد أول صلاة جمعة فيه في اليوم العاشر من شهر جمادي الآخر، ويتكون المسجد من مساحة مستطيلة في وسطها صحن مكشوف محاط بأربعة ظلات أعمقها وأكبرها ظلة القبلة، ويقال: إنّ بقبلة الجامع فصوص ذهبية وسرقت بعد ذلك..
وتحمل واجهة المسجد هذا النص التأسيسي:
"بسم الله الرحمن الرحيم أمرت بإنشاء هذا الجامع المبارك الفقيرة إلى الله الحاجة لبيت الله الزائرة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الستر الرفيع حدق المعروفة بست مسكة الناصرية في شهور سنة أربعين وسبعمائة" أما الباب الثاني للمسجد ففيه نقشٌ دائريّ تتوسطه سورة يس وكانت المنطقة التي بني بها المسجد حكراً عليها، فلما شيد المسجد دب العمران من حوله وسكن المنطقة الأمراء والأعيان وانشؤوا الحمامات والأسواق والطريف هو اختيار الخديوي إسماعيل المنطقة لبناء مسجد لأحد أولياء الله الصالحين، قيل: تنبأ له بحكم مصر وهو الشيخ صالح أبو حديد (كان في بداياته قاطع طريق وأنعم الله عليه بالهداية) والذي حمل المسجد اسمه وذلك بين عامي **1863**م - **1867**م.

تبدأ حكاية الست مسكة في زمن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أو "صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين" كما جاء على قبته بشارع المعز لدين الله الفاطمي بما يعد نصاً يبلور لشرعية حكمه من حيث السيطرة على الحجاز والعناية بالحرمين الشريفين علاوة على مركز الخلافة العباسية الذي صار بالقاهرة بجهود الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البُنْدُقْدارِي الصالحي النجمي..

شهد عهد قلاوون نزوحاً للمغول إلى مصر أعقبه عددٌ من المصاهرات بين العناصر المغولية والمماليك، ومنها زواج قلاوون نفسه بعد عامين من توليه الحكم بأميرة مغولية تدعى (أشلون خوندا) قدمت إلى مصر مع والدها وأسرتها فراراً من سلطان المغول.. وسرعان ما رزق قلاوون من زوجته الثانية أشلون بابنه الملك ناصر الدين أبو المعالي محمد بن قلاوون عام **1285**م، فاختارت أشلون أن تعهد بابنها إلى امرأة أمينة من جنسها ومن أسرتها أيضاً هي (جلشانة) موضوع حلقتنا اليوم للعناية به وتنشئته بشكل سوي وقويم فتلقفته رضيعاً ونما أمام عينيها وكبر بين يديها فتحرك شعور الأمومة بداخلها تجاهه ومع ذلك أظهرت كفاية في مهمتها وحزماً تجاهه..

مع الوقت تأقلمت جلشانة مع حياة القصور المملوكية وفهمت قواعدها واكتسبت خبرة سياسية في إدارة الحكم جعلتها ظهيراً قوياً للناصر محمد الذي اعتبرته بمثابة ابنها فرتبت انتقال السلطة بشكل هادئ له بعد مقتل

شقيقه السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون، وكانت العضد له في رحلات خلعه الثلاثة (تناولناها في كتاب حكايات من بحور التاريخ)..

ومع تقدم العمر بجلشانة ارتفعت إلى منزلة القهرمانة (القهرمان كلمة فارسية تعني أمناء الملك أو خازن) وعلا قدرها داخل القصر، فكانت كاتمة أسرار السلطان بحكم قربها الشديد منه والمسؤولة عن شؤون القصر تشرف على الأعراس السلطانية والمهمات في المناسبات كالأعياد والمواسم وترتب شؤون حريمه وتربية الأولاد، فتجمعت لديها أموالٌ طائلةٌ من إنعامات السلطان وحاشيته الطامحة في القرب منه بواسطتها، كما كانت همزة الوصل في رفع المظالم عن بعض التجار عبر تدخلها المباشر لدى السلطان، فنجدها تتدخل لديه مع أم آتوك ابن السلطان بشأن مظلمة مقدمة من أحد التجار ضد الأمير شرف الدين استادار القصر السلطاني حيث كان الأخير قد ألزمه بدفع ألفي دينار، ومع تدخلها اشتد السلطان على الأمير وأنكر عليه هذه الفعلة..

وانتقلت محبة جلشانة من محمد إلى ابنه السلطان الناصر حسن فحينما خلعه الأمراء المماليك (تحدثنا عن ذلك الأمر في هذا الكتاب) وقبضوا عليه بين حريمه صرخن جميعاً، فصاحت جلشانة بالأمير صرغتمش الذي جاء للقبض عليه وسبته وقالت له: "هذا جزاؤه منك" وطلبت أن ترافقه بالسجن ولم ينجح المماليك في إثنائها عن قرارها حتى ماتت داخل السجن مما حدا ببعض الباحثين إلى اعتبار جلشانة هي الأم الحقيقة للناصر

محمد وزوجة لقلاوون والسلطان الناصر حسن حفيدها وليست مجرد مربية بالقصر، إذ لا يمكن تصور مقدار هذا الوفاء في حقبة مملوكية لم تعرف غير الغدر والدماء..

وبعيداً عن العواصف الدموية والانقلابات التي رافقت عهود المماليك ولنأخذ هدنة في هذه الحلقة ونسلط الضوء على واحدة من ومضات النهضة الزراعية والازدهار الاقتصادي النادرة في عهد المماليك الذي عاش المصريون في جله العسف والضنك..

والواضح أن حكمة المربية جلشانة قد أتت ثمارها في شخصية الناصر محمد بن قلاوون وهو ما نستشفه في تمتعه بخبرة إدارية خلاقة جعلته يدرك أن نهضة مصر منذ فجر تاريخها في الزراعة؛ فتوسع في استصلاح الأراضي خاصة في إقليم الشرقية، واهتمّ ببلاد الجيزة وأقام الجسور والترع والقناطر في كل ناحية وأعاد حفر خليج الإسكندرية وحفر خليج الناصري خارج القاهرة حتى أوصله سرياقوس (إحدى قرى مركز الخانكة التابع لمحافظة القليوبية حالياً) وحوّل أراضي قاحلة إلى بساتين ومزارع لقصب السكر كما وجه عنايته لعمارة جزيرة الفيل وبولاق فتحولت من أراضٍ رملية إلى قصور ودور وبساتين، وأنشأ الميدان الكبير على النيل وأقام مكان ميدان اللوق الذي شيده بيبرس بستاناً حملت أشجاره من دمشق عرف بميدان الأزهار..

وضع تحت إمرة المشاريع الزراعية أمهر المهندسين وأشرف عليها بنفسه ورصد لها المال الكافي، وحينما راجعه البعض في ذلك قال قولته الشهيرة: "فلم نجمع المال في بيت مال المسلمين إن لم يكن لهذا الغرض"

ولأن الناصر كان وفياً مع أرض مصر وزراعتها فقد بادله النيل وفاء بوفاء ولم ينقص طوال عهده عن ستة عشر ذراعاً.

كما اهتمّ بضبط العملة وحدد سعر الدينار بستة عشر درهماً، والدرهم بثمانية وأربعين فلساً، لكن يعاب على فترة حكمه مواجهته للأزمات المالية بسك نقود جديدة، مما زاد من التضخم النقدي لكن بعد وفاته كان الانحدار في كافة المجالات وعلى جميع الأصعدة مع جولة جديدة من الصراعات المملوكية كانوا يحركون فيها أبناء الناصر كقطع على رقعة الشطرنج ومع نوبات الغلاء المعيشي والمجاعات في عصور من نعتوا بسلاطين المماليك "العظام" وما أكثرها كان الناس يتحايلون على الغلاء الفاحش وارتفاع أسعار اللحوم والدواجن (وصل سعر الفروج في غلاء 776 هـ، مثلاً إلى مائة درهم فما فوقها) بأكل ورق اللفت والكرنب والفول والنخالة والذرة وكانوا أحياناً يأكلون الفول في الحقول قبل حصاده ويصنعون من الذرة خبزاً كبديل عن دقيق القمح وصارت المزورة (جمعها مزاور) الطعام الصديق للأسرة المصرية وهي طعام لا لحم فيه ولا دهن وجله من البقول ومعه الأشربة الحلوة المسكرة. وحسبنا أن نسوق هذه الحكاية لنلمس بأيدينا حجم التدهور الأخلاقي المصاحب لارتفاع الأسعار

أوردها ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) في حوليات اليوم السادس عشر من شهر رمضان عام 742هـ ، أي بعد عام واحد من وفاة الناصر. حيث قبض محتسب القاهرة على رجل بواردي يدعى محمد بن خلف مقيم بخط السيوفيين بالقاهرة قد امتلأ مخزنه بكميات هائلة من الدواجن الفاسدة "فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرازير المملوحة عدد أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين، من ذلك أفراخ حمام عدة، ألف ومائة وستة وتسعين فرخاً، وزرازير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد نتنت وتغيرت أحوالها، فأدب وشهر".

لا يذكر ابن تغري نتائج التحقيقات والأسباب التي حدت بالرجل لهذه الفعلة الشنعاء والمنطق أنها معدة للبيع للناس ذلك أنه كلما ضاقت الأحوال بالعباد وضعفت أرزاقهم فحتماً ستفسد أخلاقهم وتنهار قيمهم..

وبين تبدل أحوال الناس من عصر لعصر وتباين الخطوب الواقعة عليهم ترقد حكم وعظات التاريخ ولا ينبئك عنها مثل خبير..

سؤال على الهامش: هل يجيد السلاطين المماليك العربية؟

للأسف أغلبهم لا، وهذا يظهر حتى في أسمائهم التي اتخذوها لأنفسهم وأغلبها فارسية أو تركية المعنى، كما رأينا في حلقتنا قلاوون مثلاً كان فصيحاً في اللغة التركية القبجاقية لغة الجيش والبلاط، أما لغته العربية فكانت متواضعة للغاية لا تتعدى ألفاظاً عامية ومثله (قايتباي) وأكثر منه قليلاً (الغوري)، وكان بعض هؤلاء السلاطين يعاني مشقة في النطق

بالعربية مثل السلطان إينال العلائي بحسب بعض الروايات والذي حاول أن ينطق ولايته للعهد لابنه بالعربية، وفشل فنطقها بالتركية "أُغلم.. أُغلم، أي ابني ابني" ففهم الحضور ما يقصد ومع ذلك يبقى لدولة المماليك الدور الكبير في انتشار العربية! أجل كما سمعت فالعصور المملوكية هي عصور التناقضات بحق فعلى الرغم من عدم اهتمام السلاطين المماليك بتعلم لغة محكوميهم من المصريين بشكل صحيح وهي سنة سار عليها العثمانيون من بعدهم وحتى بعض حكام الأسرة العلوية كمحمد على باشا الذي كان يتحدث التركية أيضاً مع لغته الألبانية إلا أن المماليك بتبنيهم للأعمال الموسوعية في بلاط حكمهم قد قدموا خدمة جليلة للغة العربية، فالأديب والمؤرخ الدمشقي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحي بن أحمد العمري (نسبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه) رئيس ديوان الإنشاء في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون كتب موسوعته "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" في الجغرافيا والتاريخ والشعر والعلوم وفي العهد نفسه أيضاً كتب شهاب الدين النويري موسوعته "نهاية الأرب في فنون الأدب" كما قدم أبو العباس القلقشندي رئيس ديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق عمله الموسوعي "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" مما أنعش اللغة العربية..

مسجد الرؤيا المباركة

مسجدنا اليوم هو مسجد سيدي عبد الرحمن بن هرمز أو مسجد "الحاج درويش أبو سن"، والسر في بنائه خلفه حكاية طريفة انفرد بها الدكتور جمال الدين الشيال في كتابه (أعلام الإسكندرية) رواها له فضيلة الأستاذ الشيخ بشير الشندي المدير السابق لمكتبة بلدية الإسكندرية من أن الشيخ محمد البنا أحد علماء الإسكندرية في القرن التاسع عشر كان ذات يوم في طريقه لزيارة الخديوي إسماعيل في قصر رأس التين، ماراً بشارع رأس التين فجاءه في المنام التابعي الحافظ الجليل عبد الرحمن بن هرمز الأعرج معاتباً بقوله: "كيف تمر بقبري ولا تحييني؟"

وبينما يقص الشيخ البنا رؤياه على جمع من أصحابه فإذا بالشيخ (درويش أبو سن) وكان من الأثرياء يتبرع مشكوراً لبناء هذا المسجد ليضم الضريح وأوقف عليه إيجار منزل مجاور وأوصى أن يدفن إلى جواره بعد مماته. وقد حملت اللوحة الصخرية في أعلى محرابه قوله تعالى في سورة يونس: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62))، بنى هذا صاحب الخيرات حاج درويش أبي سن ١٢٦٥هـ " وهو من المساجد المعلقة إذ يتم الصعود إليه ببضع درجات.

المشكلة التي تصادفنا هنا هي تاريخ الإنشاء والذي يقع ميلادياً بين عامي **1848-1849**م، أي قبل حقبة الخديوي إسماعيل الذي امتد حكمه بين عامي **1863-1879**م. مما يعني إما أن خطأ وقع من الخطاط أو أن الراوي اختلط عليه الأمر في شأن الزمن الذي يتحدث عن رؤياه فيه..

ثمة أمر آخر هل كان الخديوي إسماعيل يقرب علماء الدين منه ويترددون عليه وعلى وفاق معهم؟! أشك في ذلك وحسبنا أن نورد حكاية الشيخ توفيق محمد خليفة أو توفيق البتشتي نسبة لمسقط رأسه "أبو تشت" (هناك معهد أزهري إعدادي ثانوي يحمل اسمه بقنا) في إطارها العام إن صحت متجاوزين عما بها من مبالغات بعض الشيء تفتقر إلى المنطق وتتلخص أن الخديوي إسماعيل مع هزائم قواته في الحبشة طلب من الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر (عزله الخديوي إسماعيل بعد ذلك في سابقة تاريخية) أن يطلب من العلماء تلاوة البخاري أمام القبة القديمة بالأزهر (عادة مملوكية) فلما استمرت الهزائم اتهم الخديوي العلماء بأنهم إما أنهم لا يقرؤون البخاري أو أنهم ليسوا على منزلة السلف الصالح فصارحه الشيخ البتشتي في جرأة بأن تقليد الغرب في إباحة الزنا والخمر هما سبب البلاء ولا ذنب للبخاري ولا حيلة للعلماء مذكراً الخديوي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "والَّذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عنِ المنكرِ أو ليوشِكنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا مِن عندِه ثمَّ لتدْعُنَّهُ فلا يستجابُ لكم.. "

ومن المفيد هنا أن ننقل تشكك الدكتور الشيال في حقيقة وجود الضريح من الأساس في هذه المنطقة محتجاً بأن منطقة الضريح كانت مغمورة بالمياه في القرن الثاني للهجرة حال وفاة التابعي الجليل وأن خلطاً ربما وقع لدى الناس بينه وبين الإمام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الأعرج، من كبار الزهاد لتلاقيهما في اللقب الأخير من اسميهما (الأعرج) والذي عاش في الإسكندرية أيضاً وقد جمعه لقاء طريف مع الرحالة محمد بن عبد الله ابن بطوطة أورده في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): "لقيته أيام مقامي بالإسكندرية (يقصد الشيخ برهان) وأقمت في ضيافته ثلاثاً، ودخلت عليه يوماً فقال لي: "أراك تحب السياحة والجولان في البلاد" فقلت له: "نعم إني أحب ذلك". ولم يكن حينئذ بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين. فقال: "لا بد لك إن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند، وأخي ركن الدين زكرياء بالسند، وأخي برهان الدين بالصين. فإذا بلغتهم فأبلغهم مني السلام" فعجبت من قوله وألقى في روعي التوجه إلى تلك البلاد ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم، وأبلغتهم سلامه. ولما ودعته زودني دراهم لم تزل عندي محوطة. ولم أحتج بعد إلى إنفاقها، إلى أن سلبها مني كفار الهنود، فيما سلبوه لي في البحر."

والحقيقة أني أرى أن الفيصل في هذه المسألة هو العودة للكتابات السابقة على رواية الدكتور الشيال ومنها علي باشا مبارك في خططه التوفيقية والتي تؤيد وجود الضريح في هذا المكان..

أما عن صاحب الضريح فهو التابعي الجليل والإمام الحافظ الحجة وشيخ القراء أبو داود عبد الرحمن بن هرمز والذي ولد بالمدينة المنورة وهو مولى لمحمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وقيل: مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقيل: ولاؤه لبني مخزوم وأدرك عدداً من الصحابة والتابعين فحفظ القرآن الكريم وأتقنه، وجوّده وعرضه على أبي هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة.. كان ابن هرمز من أكثر تلامذة أبي هريرة قرباً منه ويعد الأستاذ الأول للإمامِ مالك بن أنس رضي الله عنه، وقد أورده الإمام الذهبي ضمن الطبقة الثالثة من حفاظ القرآن كما تعددت مواهبه وشمائله، فكان من كتبة المصاحف وعلماء القراءات كما أصبح من رواة الحديث النبوي الثقات فروى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس ومحمد بن سلمة كما كان ابن هرمز ضليعاً باللغة العربية وقد أخذ علمها عن أبي الأسود الدؤلي، خبيراً بأنساب قريش وأعلم الناس بالنحو.. كان التابعي الجليل يعاني من العرج وقد شرفت الإسكندرية أن اختارها ليمضي بها بقية حياته ومات بها عام 117 هوهو في الثمانين من عمره.

وللمسجد قصة طريفة مع المفكرالإسلامي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله فقد التقى فيه الشيخ حسن البنا عام 1935 وكان البنا يدعو فيه وكان الغزالي وقتها لازال في نهاية المرحلة الثانوية الأزهرية فانضم إلى جماعته ثم تركها بعد ذلك ..

وفي الجامع أيضاً جمع اللقاء بين الملك فاروق الأول ملك مصر السابق والأستاذ أمين عبد الرحمن صاحب مجلة الإسلام وهي من بواكير الصحافة الإسلامية في مصر، حيث أنشئت بين عامي **1930** و**1931**، وكانت تصدر أسبوعياً وقد قررتها وزارة المعارف ومجالس المديريات لجميع مدارسها بنين وبنات والطريف أن المجلة والتي دأبت على مدح الفاروق وأسرته قد كللت زواجه في **20** يناير سنة **1938**م، من الملكة فريدة بلوحة تذكارية مهداة مع إصدارها بخط الخطاط سيد إبراهيم المدرس بمدرسة تحسين الخطوط الملكية بمصر (تحدثنا عنه في كتاب تاريخ حائر بين بان وآن) بدأت بقوله تعالى في سورة الفرقان: (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)) وعلى الهوامش أبيات شعرية تقول: "يا صاحب التاج من للفن غيركم... يعلي مكانته يا صاحب التاج.

العلم إن لم يشيد صرحه ملك... لم يمتع النشء من درس ومنهاج.

والفن والعلم في ظل المليك.. هما كالروض للغيث أضحى جد محتاج"

****

الحب في رمضان.. نظرة أخرى

اتفقت أغلب الحضارات الإنسانية على اختلاف أزمنتها أن الحب مكانه القلب وأن القلب محله الركن الأيسر من الجسد (الصواب أنه في وسط الصدر) لاعتقادهم أن هذا الجانب من القلب هو الأقوى والذي يحمل على عاتقه معظم العمل بضخ الدم الغني بالأكسجين إلى أجزاء أخرى من الجسم فقيل: إنّ هذا كان دافع الرومان والإغريق قديماً لجعل خاتم الزواج في الإصبع الرابع من اليد اليسرى "البنصر"؛ لاعتقادهم أن هذا الإصبع به وعاء دموي مميز يسمى "وريد الحب **vena amoris** " يصل مباشرة إلى القلب!! بالطبع الواقع العلمي اليوم يختلف مع هذه النظرية فمشاعر الحب تسيطر عليها هرمونات تحكمها آلية عصبية دماغية معقدة للغاية، كما أن الأوعية الدموية في كل الأصابع على السواء وإن كان العلماء يشيرون أن ما يميز الخنصر (الإصبع الخامس الأقل استخداماً) ارتباطه بعمل القلب وصحته وبالتالي بالدورة الدموية وأنه كلما كان الخنصر أطول مقارنة بالسبابة كانت فرص الوقاية من الأزمات القلبية أكبر بسبب وجود كمية عالية من هرمون "تستوستيرون".. وكما أن الحب ليس موقعه القلب ولا القلب موقعه اليسار ولا وريد الحب موقعه الإصبع الرابع. كما كانوا يظنون في الماضي فكذلك شكل الحب لابد وأن يختلف هو الآخر مع تطور

الأزمنة واختلاف احتياجاتها فالحب الذي كان يدفع صاحبه قديماً لترك معترك الحياة زحفاً وراء أوهامه بين البراري والصحارى تاركاً عمره يمضي سدى مبتعداً به عن دينه وربه هارباً به من معارك وصراعات الحياة العملية والواقعية لا مكان له اليوم بين جنبات حياتنا أو قل لا ينبغي أن يكون له مكان..

في عدة دراسات لعالمة الأنثروبولوجيا الطبيعية (هيلين فيشر) بجامعة روتجرز الأمريكية بين عامي **2005-2016** م حددت عدة علامات تنبئ بأن صاحبها قد أصابته وعكة الحب منها النظر بإيجابية نحو صفات الحبيب والتغاضي عن كل ما ينال من صفو هذه الصورة المثالية من سلبيات ومساوئ، ومع اللحظات البسيطة من اللقاء تتكون ذاكرة من الذكريات يعدونها أصحابها كنزاً ثميناً لا يفارقهم في أحلام اليقظة هذه العقلية وحيدة النظرة محدودة الرؤية وهذا الانجذاب سواء أكان للتجربة الأولى أو للخروج من أزمة عاطفية سابقة بإحلالها بأخرى تحكمها جميعاً مستويات مرتفعة من الدوبامين المركزي وهو ناقل عصبي كيميائي يوجه التركيز والانتباه في الدماغ ويسمى هرمون السعادة، حيث يؤثر في مناطق معينة في الدماغ تتحكم بمشاعر السرور والتحفيز والمكافأة.

ومع الانخراط في الحب تبدأ مشاعر متأرجحة ومتباينة ومتقلبة من عدم الاستقرار العاطفي أشبه بمدمني المخدرات بين سعادة ونشوة وزيادة الطاقة تارة وخفقان القلب وتسارع التنفس وفقدان الشهية تارة أخرى ومع أول

انتكاس ولو هين بالحب يصبح المحب شارد الذهن أسير القلق واليأس والخوف وخذ عندك قائمة طويلة من الهوس والوسواس القهري والتفكير الفضولي نتيجة لانخفاض مستويات السيرتونين المركزي في الدماغ وهو ناقل عصبي كيميائي يحمل الإشارات بين الخلايا العصبية في الدماغ فيؤثر على سلوكيات المرء وعواطفه عبر التحكم في المزاج والذاكرة والنوم. وآفة الحب غالباً ما تكون في الرغبة في التملك والتضحية بكل شيء من أجل الاحتفاظ بالحبيب وحسبنا أن ندلل على ذلك بحكاية الشاعر قيس بن الملوح (عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب) والذي مر ذات مرة على جماعة يصلون وكان يبحث عن كلب ليلى ابنة عمه التائه!! فقالوا له: "أتمرّ علينا ونحن نصلي ولا تصلي معنا؟ فقال لهم: أكنتم تصلون؟ قالوا: نعم. قال: والله ما رأيتكم، ووالله لو كنتم تحبون الله كما أحب ليلى ما رأيتموني". انظر غفلة المؤمن عن دينه وصلاته وتركه لعمله واشغاله بحثاً عن كلب محبوبته وذهاب عقله هياماً بامرأة لو أعمل عقله ولو للحظة لفهم أن منها الكثير ولعرف أنها لا تقرأ أشعاره لأنها وببساطة لا تعرف القراءة والكتابة!! قصة حب حقيقة كلا طرفيها خاسر، كما أن البشرية لم تجنِ من قصة الحب هذه سوى اتخام مناهج البلاغة بالمدارس وحسب..!

ومن القصص الطريفة التي حدثت في أشهر البركة ما بين منتصف شعبان حتى رمضان عام **284** هـ، ما جاء ذكره بكتاب (المنتظم في تاريخ الأمم

والملوك) لأبي الفرج بن الجوزي من أن شخصاً يحمل سيفاً قد ظهر بقصر الخليفة أبو العباس أحمد المعتضد بالله المسمى بالثريا (زوجته قطر الندى أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون صاحبة العرس الشهير أتينا على ذكره في كتاب حكايات من بحور التاريخ) فتصدى له الحراس فأصاب أحدهم وفرّ وتوارى خلف البساتين، ولم يعثر له على أثر ومع تكرار الأمر أحكم المعتضد وسائل الأمان حول أسوار قصره للحيلولة دون التسلل إليه أو الهروب منه واستدعى اللصوص من السجون لاختبار الوسائل الجديدة والوقوع على نجاعتها (تجربة فريدة من تجارب إدارة المخاطر في هذه الأزمنة) كما استمع المعتضد إلى أقوال البعض أنه ربما كان من الجن فأتى بالمعزمين (الراقين) للوقوف على أمر الشخص الجني!! وجيء معهم بالمجانين ذلك أنهم قالوا: "نحن نعزم على بعض المجانين فإذا سقط سأل الجني عن خبر ذلكم الشخص" فصرعت امرأة وتكشفت مما آثار تشاؤم المعتضد فصرفهم جميعاً وبقي الأمر غامضاً حتى أتت أيام الخليفة أبو الفضل جعفر بن المعتضد المقتدر بالله حيث اتضح أنه "ما عفريت إلا بني آدم" كما يقول المثل الشعبي، وأن هذا الشخص الذي أرق الجميع بظهوره المريب واختفائه الغامض مرات عديدة ما هو إلا خادم أبيض تعلق قلبه بجارية من جواري القصر وفي سبيل مقابلتها أتقن فن التنكر فاستعان بعدة لحى بألوان مختلفة وتقمص هيئات شتى كراهب أو جندي. فإذا سعى للقاء الجارية لبس اللحية وفي يده السيف وإذا ما طارده الحراس اختفى بين الشجر

ونزع اللحية وجعلها في كمه، وكذلك ثياب التخفي وبقي شاهراً سيفه وعاد منخرطاً ضمن الخدم كأنه يطارد معهم الشخص المطلوب وبقي هذا الأمر سراً إلى أن تولى المقتدر بالله الخلافة كما أسلفنا، ونقل الخادم إلى طرطوس وقيل مات في روايات أخرى فتحدثت الجارية بأمره.

انظر ما فعله هذا الشخص من أجل مجون الحب وأوهامه في الأشهر الحرم ترى كم مرة أصاب من الحرس الأبرياء، وكم قتل منهم في كل مرة يأتي لرؤية الحبيبة، وكم مرة نشر الذعر والخوف بين الآمنين؟! وكان الأولى به أن يصلي ويدعو في هذه الأيام المباركة طلباً لمرضاة الله لا طمعاً في عرض زائل هو ملاقاة الحبيبة.

إذاً فالحب وإن كان خصلة نبيلة وفطرة محمودة لكن ينبغي تهذيبها وقصر تأثيرها في مساحة محدودة ومحددة فالتعلق في الحب المنعوت بالرومانسي علة تولد التواكل وتورث النفس الهموم والأحزان وتحول البشر إلى مغيبين ومدمنين في دروب الهوى ومجرمين أحياناً لا عائد منهم في إعمار الأرض ولا رجاء فيهم في رفعتها ومن هنا فالدين جاء لتهذيب النفوس وإصلاحها وخلق هدف وغاية للبشر أسمى وأكبر وأقوى وأعم، وذلك بالاجتماع على حب الله وطاعته وأن يعلو حبه أي حب آخر. ومن هنا تتعافى الإرادة وتعود للنفس قوتها وعزيمتها وتحكمها في مقدراتها قال تعالى في سورة الشمس:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10) ..). وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أتاني جبريلُ عليه السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ! عِشْ ما شئتَ فإنَّك ميِّتٌ، وأحبِبْ من شئتَ فإنَّك مفارقُه، واعمَلْ ما شئتَ فإنَّك مجزِيٌّ به، ثمَّ قال: يا محمَّدُ! شرفُ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزُّه استغناؤُه عن النَّاسِ.

****

جامع الشيخ العبيط

لا شك أنها واحدة من المفارقات أن يتواجد جامع بهذا الاسم طوال عهد الأسرة العلوية بمصر وبمنطقة حيوية كالتي بها دون تغيير حتى نهاية الحقبة الملكية وقيام ثورة يوليو **1952..**

يغلب على الدراسات البحثية اعتبار أن هذا الجامع أقدم بكثير من الحقبة العلوية وأنه يعود إلى العهد المملوكي وتحديداً إلى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث بناه القاضي الأمير كريم الدين الكبير عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري القبطي ناظر خاصة السلطان خلف الميدان الناصري المطل على النيل بأرض القصر العالي في جزيرة اسمها "أروى" أو "قارون" أو "الجزيرة الوسطى" لأنها بين الروضة وبولاق والقاهرة والجيزة (يشغلها ميدان التحرير حالياً) بأرض القصر العالي قيل عام **700** هـ ، وقيل عام **720** هـ (لا نملك الحسم لأن كلا التاريخين في عصر الناصر محمد بن قلاوون).

يقولون في المثل الشعبي: "ما محبة إلا بعد عداوة " وهذا كان حال السلطان الناصر مع الأمير كريم الدين ويقولون أيضاً: "الدنيا ما بتظل قمرة وربيع" وسنرى أثر هذا المثل الفلسطيني لاحقاً فيما تلا من أحداث وتعالوا بنا نقص الحكاية من البداية..

كان (كريم الدين) كاتباً لدى الأمير المملوكي (بيبرس الجاشنكير) وقد أسلم بعدما صار كهلاً، وبلغت مرتبة إخلاصه للجاشنكير أنه كان يقتر على السلطان الناصر في الصرف وجعل تلبية احتياجات السلطان رهناً بموافقته لدرجة أن السلطان طلب "أوزة" لطعامه ذات مرة ولم تصرف له لغياب كريم الدين وقتها (تحدثنا عن انقلاب الجاشنكير على سلطات الناصر وتغوله في الحكم في كتاب حكايات من بحور التاريخ) ولما هرب حليفه الجاشنكير ومعه الخزائن وعاد السلطان الناصر من الكرك واستعاد شيئاً من سلطاته ضاقت الأرض بما رحبت على "كريم الدين" فوسط الأمير سيف الدين طغاي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش للسعي لدى السلطان وإصلاح ما فسد وقد كان.. فرضى عنه السلطان وسامحه واستحدث له وظيفة جديدة أطلق عليها "ناظر الخواص" واستخدمه فيها.

وأصبح السلطان يحبه ويقربه ويؤثره وخلع عليه وجعله يخلع على الأمراء في رحلات الصيد وبلغت منزلته لديه حداً يفوق ما يبلغه الوزراء من مكانة وبلغت ثقته به مبلغاً يتجاوز المعقول ويفتقر للحد الأدنى من الفكر المؤسسي القويم وليس هناك ما هو أدل على ذلك من أن الخزائن جميعها أودعت ببيت "كريم الدين" وإذا أراد السلطان شيئاً أرسل مملوكاً لبيته لإحضار ما يريد!

وكان "كريم الدين" حسن الخصال مشهور عنه فضائله وسعيه في الخير وكان يداوم على صلاة الصبح برفقة القاضي فخر الدين ومن القصص الشهيرة عن كرمه وتسامحه أن امرأة طلبت منه إزاراً فأرسل للصيرفي (الصراف أو متولي الخزينة) لصرف مبلغ "ثمان ماية درهم، أي ثمان مائة درهم" فارتاب الصيرفي في الأمر فالمبلغ المطلوب صرفه يفوق ثمن الإزار أضعافاً كثيرة وراجع سيده كريم الدين فرد عليه الأخير قائلاً: "هذا متاع الله تعالى وهذا متاعي فأنا ما أردت إلا ثمانين، ولكن الله أراد أن أكتب "الثمان ماية أي الثمان مائة" وصرف المبلغ للمرأة "ثمان ماية وثمانين أي ثمان مائة وثمانين" وهو الثمن الأصلي مضافاً إليه مبلغاً للنفقة.

وحدث أن رفع الصيرفي لكريم الدين أمر أحد الأشخاص يزور عدداً من الإيصالات ويدفعها إليه فأمره بإحضاره إذا قدم إليه مرة أخرى، وقد كان.. فلما مثل الرجل بين يدي كريم الدين سأله: "ما حملك على هذا؟ قال الرجل: الحاجة!" حقاً لقد أوجز الرجل كل المشاق والبلايا التي تدفع المرء للجريمة في كلمة واحدة وحسب كافية وشافية فكان رد "كريم الدين" أيضاً مدهشاً بتسامحه البعيد كل البعد عن صفات هذه الأزمنة المملوكية إذ قال: "كلما احتجت إلى شيء أكتب به بخطك لهذا الصيرفي"، ثم استطرد بشكل أقرب للمزاح مع الرجل: "ولكن أرفق علينا فعلينا كلف كثيرة" ووجه أمره للصيرفي قائلاً: "كلما جاء إليك خطه بشيء فاصرفه ولا تشاور عليه" وحدث أن أضاع أحد "بابية" مماليك الأمير سيف الدين بكتمر

الساقي (كان من مماليك الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، ثم انتقل لخدمة السلطان الملك الناصرمحمد وعمل ساقياً) "حياصة ذهب والحياصة حزام أو نطاق كان يتقلده العسكريون في العصرين الأيوبي والمملوكي يشد به الوسط وتتزين به النساء أحياناً" فتوجهوا به للوالي لقطع يده وفي الطريق صادف الأمير "كريم الدين" فشكا له حاله فرفق به ورق لحاله وأمر بتأجيل عرضه للغد، ثم أمر أحد عبيده بحمل "حياصة ذهب" لإعطائها للبابي (أو البابا) المسكين.. فلما كان الغد وانشغال "كريم الدين" نسي أمر البابي وقد حمل للوالي فعاد لتذكرته فمنحه الحياصة وألفين درهم فوقها، فلما علم الأمير سيف الدين بكتمر الساقي بأمر كريم الدين مع البابي لطم وجهه وقال: "يا مسلمين! مثل هذا يمسك أو يؤذي!" وكان بكتمر معارضاً توليته.. ولما ولي البيمارستان المنصوري كان يتصدق بعشرة آلاف درهم كما كان ذا ميل حميد تجاه النصارى وحدث حريق بالقاهرة وحمل المسلمون النصارى المسؤولية عن ذلك فحاول بعض الغوغاء رجمه فغضب السلطان له وقطع أيدي أربعة جراء ذلك.

لكن من قواعد العهد المملوكي أنه إن رضي السلطان عن أحد فانتظر حينما يتغير خاطره لتنقلب الدنيا رأساً على عقب ومن صعد لقمة الهرم يغدو في لحظات تحت التراب وهو ما حدث مع صاحبنا كريم الدين، فقد غضب عليه السلطان فأقام في بيت الأمير سيف الدين أرغون النائب لثلاثة أيام وكانت الرسائل بينه وبين السلطان لا تنقطع، ثم أمر السلطان

بنقله إلى القرافة، ثم الشوبك، ثم القدس، ثم عاد لمصر مرة أخرى. حيث وجد مشنوقاً بعمامته بأسوان وقيل أنه حينما أحس بدنو أجله صلى ركعتين وقال: "هاتوا!! عشنا سعداء ومتنا شهداء" فدهش العامة من نبأ مقتله فقد أعطاه السلطان الدنيا والآخرة معاً..

ومن كريم الدين إلى الشيخ العبيط وحدوتة أخرى عمادها القيل والقال كشأن كثير من فصول التاريخ العربي، ولكن ما باليد حيلة، حيث قيل: إن الشيخ العبيط كان من بصاصي محمد علي باشا على العامة من المصريين خاصة مشايخ الأزهر مثل الشيخ عمر مكرم. وقيل: إنه كان سارقاً، وقيل: زعيم عصابة كان يتخذ من باب الخلق مقراً لسرقاته، وقيل: كان يجلس عند شارع بورسعيد على الخليج ومع كثرة سرقاته قبض عليه وأقر بشركائه وهما "يوسف" و"صالح أبو حديد"، ثم في غمضة عين صاروا جميعاً مشايخ ولهم أضرحة ومساجد باسمهم بعد توبتهم والله يهدي من يشاء..

فالشيخ يوسف لجأ لمحمد لاظوغلي باشا (صاحب التمثال والميدان الشهير بالقاهرة ومدبر مذبحة المماليك) فعفا عنه وبنى له مقبرة وضريحاً باسمه ويقال: دفن بجواره!! والأطرف أنه حينما تطورت جاردن سيتي في عهد الخديوي إسماعيل بقي اسمه عالقاً في الذاكرة المصرية مع تخصيص ميدان وشارع كبير باسمه..

أما الشيخ صالح أبو حديد (نسبة للقيود المكبلة بها قدميه) فتناولنا قبساً من سيرته في حلقة ماضية، ونستكملها بمزيد من القيل والقال من أنه كان محتمياً بمطربة شهيرة أذاعت صيت كراماته، فأصبح مقصد الأمراء والأعيان وكان له هيئة طريفة، حيث كان يرقد على الفراش ولا يلفظ من فيه سوى بضع كلمات معدودة على شاكلة: "الغائب يحضر... المريض يشفى... العاقر تلد... والقضية تكسب... والمرأة تتزوج" واختر ما شئت من البشائر وادفع المعلوم من الهدايا والنذور.

وقيل: إن الشيخ محمد العبيط كان من مشايخ ودروايش القرن الثاني عشر الميلادي وهو الأقرب للمنطق، وعاش بالعهد المملوكي ودفن بهذا الجامع ومع الزمن طغى اسمه على اسم منشئه، كما تغير اسم المكان من جزيرة "أروى" إلى جزيرة "العبيط" كما ذهب البعض إلى أن لقب العبيط الذي غلب عليه هو بالعامية المصرية مساوياً للفظة البهلول بالفارسية والدرويش بالتركية ويطلق على الصوفيين في العادة..

ويقال: إن الجزيرة قبل عمارنها كان يمر بها القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي (تولى القضاء والحسبة) فتنبأ لها يوماً أن تصير بلدة أو مدينة وهو ما كان فبنى الناس الدور والأسواق والطاحون والفرن، وأقيمت البساتين وحفرت الآبار ولهذا القاضي قصة طريفة من أنه كان يهوى بعض الصور الحسنة أيام صباه فجاءه في المنام ذات مرة من ينشده: "لا أوحش الله عيني من محاسنهم ولا

خلا مسمعي من طيب الخبر".. فاستبشر برؤياه خيراً، لكن لم يلبث أن آتاه نعي من كان يهواه!.

وفي عهد الخديوي إسماعيل بادر بشراء بيوت وبساتين الجزيرة الوسطى بين الروضة وبولاق والقاهرة والجيزة وردم مياه النيل التي تمر بين جزيرة العبيط وباب اللوق تمهيداً لتشييد سرايتين: سراي الإسماعيلية الصغرى (أصبحت مجمع التحرير) وسراي الإسماعيلية الكبرى والتي أحجم عن استكمالها مكتفياً بالصغرى كما جدد جامع الشيخ العبيط مبقياً على اسمه.. الطريف أن سراي الإسماعيلية كانت شاهدة على عزل الخديوي إسماعيل، ذلك أن هذه السراي استقبلت ورودَ برقية تولية ولي العهد (محمد توفيق باشا) أريكة الخديوية، حيث كان يقيم فيها وذلك خلفاً لوالده الخديوي إسماعيل والذي عظمت ديونه فبنى استراتيجيته في أواخر عهده على غض الطرف والتهرب من سداد بعض الديون متى استطاع لذلك سبيلاً وهو الأمر المستحيل لكن الظروف الدولية التي أحاطت بإنجلترا وفرنسا كبرى الدول الدائنة شجعته على ذلك، فقد كانت إنجلترا منشغلة بحرب شعب "الزولو" في أفريقيا الجنوبية، أما فرنسا فكانت تلملم جراحها جراء هزيمتها الثقيلة في الحرب السبعينية والتي خرجت منها ألمانيا منتصرة وكان الخديوي يراهن على عودة فرنسا من النظام الجمهوري إلى الإمبراطوري الصديق له في الماضي فاتخذ إجراءات من طرف واحد بعزل وزارة نوبار باشا الأوروبية ورحل معها الوزيران البريطاني والفرنسي

وشكل وزارة وطنية برئاسة شريف باشا متخفياً خلف ستار الديموقراطية وتنفيذ مشروع وطني لجدولة الديون تبناه مجلس شورى النواب.. كانت خطة الخديوي يمكنها أن تطيل فترة حكمه بعض الشيء.. لكن دخول ألمانيا على الخط أضاع كل شيء حيث وجد السياسي الحديدي (أوتو فون بسمارك) المتولي منصب المستشار في ألمانيا أن المسألة المصرية فرساً رابحاً في السباق الاستعماري لعزل فرنسا سياسياً والتقارب مع بريطانيا والظهور كطرف إقليمي ودولي فعال ومؤثر وكذلك في اقتسام كعكة المستعمرات الخاضعة منذ أمد طويل للهيمنة البريطانية والفرنسية فتقدمت ألمانيا باعتراض رسمي على قرارت الخديوي وأوزعت لباقي الدول عدم التصديق عليها (راجع كتاب تاريخ حائر بين بان وآن لترى كيف كانت ألمانيا مسيطرة على دفة قرارات توفيق خشية أن يلاقي مصير أبيه) فأرادت بريطانيا وفرنسا إظهار موقف أكثر حزماً من الموقف الألماني، وذلك بعزل إسماعيل نفسه وقد كان عام **1879**م ونفيه إلى إيطاليا ومن بعدها انتقل إلى الأستانة وبمضي الوقت لجأت الحكومة المصرية إلى بيع عددٍ من قصور إسماعيل الكثيرة أو استغلال مرافقها ففي عام **1941** تم بيع جزء من حديقة قصر الإسماعيلية لبناء كنيسة قصر الدوبارة والتي أقيمت بين عامي **1947-1950** وذلك بوساطة من أحمد حسنين باشا لدى الملك فاروق وبمساعي من القس إبراهيم سعيد والذي استغل زيارة زوجة الواعظ الكسندر وايت لمصر لنيل الموافقة الملكية..

وفي عهد الملك فاروق كانت النية معقودة لتوسعة جامع الشيخ العبيط أو هدمه وإعادة تشييده ليكون جامعاً كبيراً يحمل اسم "فاروق" وتخلل تلك الرغبة وضع تمثال لجده الخديوي إسماعيل مقابلاً للمسجد الجديد، ويقال: إن السبب الذي حدا بفاروق لإعادة بناء الجامع ليكون الأكبر ولتغدو منارته أعلى من منارة الكنيسة التي وافق على بنائها على مضض كما أسلفنا آنفاً على أن تظل منارتها في حدود المسموح به دون ارتفاع أكبر (يقال: إن ذلك أغضب القس إبراهيم سعيد فنسب له قوله لجمال عبد الناصر عام **1955**: "كره الملك فاروق أن يرى صليباً واحداً فأرسله الله إلى حيث لا يرى إلا صلباناً (يقصد منفاه في إيطاليا)" .

لكن نوايا فاروق استكملتها ثورة عام **1952** حيث قامت الثورة المصرية بتوسعة الجامع وإطلاق اسم عمر مكرم عليه (يراجع كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة الجزء الأول للاقتراب من هذه الشخصية عن كثب) مضحية باسم القديم "العبيط" ليصبح واحداً من أشهر المساجد في مصر والذي يشيع منه كبار الشخصيات العامة والخاصة ورجال الفن والأدب والأعمال علاوة على أنه كان شاهداً على فصول لا تُنسى من ذاكرة الثورة المصرية المجيدة في **25** يناير عام **2011**م والتي أطاحت بحكم الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك بعد قرابة ثلاثة عقود من حكمه..

سؤال على هامش هذه الحلقة:

ألم تلاحظ يا عزيزي أن لاظوغلي فضل أن يدفن بجانب من ظنه ولي وأقام له ضريحاً ولم يدفن بمسجد أو ضريح خاص به، كما أن محمد علي باشا قد أوصى أن يدفن في مسجده بقلعة الجبل بالقرب من مقام السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق وليس بحوش الباشا الذي أسسه ودفن فيه ابنه إبراهيم باشا؟

إنها عادة مملوكية باقتدار وهي السعي لكسب الآخرة بإقامة المساجد وعمارتها والوقف عليها ورجاء القرب والشفاعة من أولياء الله الصالحين من كثرة ما كان يقترف هؤلاء الحكام من آثام ويقتلون أنفس حرم الله قتلها إلا بالحق ومن فرط ما كانوا يجنون من مال عسفاً وجوراً من جيوب الناس. لهذا كانوا يعدون لآخرتهم مبكراً على نحو ما تقدم لخشيتهم أن تأتي على غفلة ومذبحة المماليك التي دبر لها لاظوغلي ومحمد علي باشا كانت مفتاح إجابة سؤالنا السابق..

وقد قيل: إنّ حوش الباشا وارى رفات أربعين من ضحايا المذبحة، لكن من السلاطين المماليك من كانوا أكثر هلعاً وقد صاروا قاب قوسين أو أدنى من النهاية، فكانوا يتركون مقابر مساجدهم ويطلبون أن يدفنوا بجوار السلف الصالح وأولياء الله الصالحين. فقديماً نجد السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انس بن عبد الله الشركسي والذي أمر ببناء مسجد الشيخ علي الروبي (يتصل نسبه بالعباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من أولياء الله الصالحين وكان يطلق عليه الشيخ العبد

الزاهد) بالفيوم وقد تنبأ له بحكم مصر كما بنى في موضع فندق يعرف بخان الزكاة مجموعته المعمارية الشهيرة من مسجد ومدرسة وخانقاه وقبة بشارع المعز لدين الفاطمي إلا أنه اختار لدفنه شكلاً مختلفاً وهو الدفن تحت أرجل المشايخ حيث تزعم الروايات أن المنجمين تحادثوا في أواخر رمضان من عام **801** هـ أن أمراً جسيماً يهدد حياة السلطان ولو نجا منه يطول عمره وفي شوال من العام نفسه تحققت النبؤة (طبعاً كذب المنجمون ولو صدقوا) فبعد أن لعب السلطان بالرمح وأكل كثيراً من عسل نحل كختاوي (نسبة إلى قلعة عالية البناء تقع شرقي ملطية) وأكل من لحم بلشون (كلمة قبطية بمعنى طائر) وشرب خمراً؛ فأصيب بالحمى والصفراء وفقد وعيه وفي **14** شوال من العام نفسه أفاق من غيبوبته ويا ليته ما أفاق! إذ وضع نظاماً لخلافة الحكم من بعده في أبنائه ليبلي مصر بابنه "فرج" وما أدراكم من فرج! (يرجي العودة لمجموعة السلطان وبناء المسجد الحرام في كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة الجزء الأول) وكانت جنازته نهاراً وأمر أن يدفن بتربة الحوش في لحد لأولياء الله الصالحين وتحت أرجلهم وهم: الشيخ علاء الدين السيرامي الحنفي، والشيخ أمين الدين الخلواتي الحنفي، والمعتقد عبد الله الجبرتي، والمعتقد طلحة، والشيخ المعتقد أبو بكر البجائي، والمجذوب أحمد الزهوري، ليكونوا له شفعاء عند الله (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ (89) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) سورة الشعراء).

طبعاً علاقة السلاطين المماليك بالأولياء لا ينطبق عليها قاعدة "القوم لا يشقى بهم جليسهم" والله أعلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ قال: (إنّ لِلّه تَبارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيّارَةً فُضُلًا، يَتَتَبّعُونَ مَجَالِسَ الذّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السّمَاءِ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ اللّه عَزّ وَجَلّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنّتِي؟، قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطّاءٌ إِنّمَا مَرّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) فالأمر مرهون بالصلاح أو الرغبة بالتوبة في الدنيا وسلوك سبيلها وليس التمسح بقبور الصالحين عند حضور الموت.

الطريف أنه حينما سئل أحد الظرفاء وقتها عن تاريخ وفاة برقوق قال العبارة التي نرددها حتى يومنا هذا عند انقطاع الأمل بشيء ما "في المشمش".

حيث عرف العرب عن الهنود القدماء استخدام "حساب الجمل" كطريقة لتسجيل الأرقام والتواريخ باستخدام الحروف الأبجدية وعندما نحسب تاريخ وفاة برقوق ومقابلها في الحروف الأبجدية «في المشمش» يكون الناتج: (80+10+1+30+40+300+40+300) = 801 وهو تاريخ وفاة برقوق هجرياً تماماً كما أسلفنا، وهكذا شاءت مدهشات التاريخ أن يجتمع البرقوق بالمشمش...

****

مسجد الضريح المستحيل

أن تجد مسجداً بناه أحد ونسب لآخر فلا غرو في ذلك وعرضنا من أمثلة ذلك الكثير أو أن يُبنى مسجد تيمناً بأسماء أنبياء الله ممن تضمنهم القرآن الكريم فمن أمثلته أيضاً الكثير، لكن أن يُنسب مسجد لشخص بعيد كل البعد عن زمن بناء المدينة التي تضمه بين جنباتها، بل وعن الديانة الإسلامية وإن تضمنت نذراً يسيراً من قصص عن سيرته، فهذا هو المدهش والغريب في آن واحد.

إنه مسجد النبي دانيال بالإسكندرية حيث تصارع أمواج المستحيل التاريخي ما تتناقله أوهام العامة منذ أمد بعيد..

تتفق الروايات حول طبيعة الدور الذي لعبه النبي دانيال (اسمه يعني "الله قاض" أي يقضي بحكم الله) وسطره على صفحات التاريخ فقد شهد أحداث دخول الملك البابلي "نبوخذ نصر أو بختنصر (سعيد الحظ بالفارسية)" أحد أقوى الملوك الكلدان أورشليم (القدس الإسلامية) وتدمير هيكل سليمان وقتل وسبي بني إسرائيل وإحراق التوراة وأنه ربما لقي مصرعه في هذه المعارك أو أنه علا شأنه وحكم مدينة بابل ورأس جميع حكمائها بعدما فسر حلماً مزعجاً لنبوخذ نصر فرفعه لهذه المكانة. جاء في سفر دانيال **2/ 31 45** -

قال دانيال النبيّ عليه السلام حين سأله بختنصر عن تأويل رؤيا رآها، ثم نسيها": رأيت أيّها الملك صنماً عظيماً قائماً بين يديك، رأسه من ذهب، وساعداه من الفضة. وبطنه وفخذاه من النحاس وساقاه من حديد، ورجلاه من خزف، ورأيت حجراً لم يقطعه يد إنسان قد جاء وسك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتاً. ثم نسفته الريح فذهب وتحوّل ذلك الحجر فصار جبلاً عظيماً حتى ملأ الأرض كلّها. هذا ما رأيت أيّها الملك. فقال بختنصر" :صدقت. فما تأويلها؟" قال دانيال": أنت الرأس الذي رأيته من الذهب. ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة وهما دونك. ويقوم بعدهما مملكة أخرى وهي دونهما وهي التي تشبه النحاس. والمملكة الرّابعة تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كلّ شيء. فأما الرجلان اللذان رأيت من خزف فمملكة ضعيفة وكلمتها مشتتة. وأما الحجر الذي رأيت قد سك ذلك الصنم العظيم ففتته فهو نبيّ يقيمه الله إله السماء والأرض من قبيلة شريفة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلئ منه الأرض ومن أمته. ويدوم سلطان ذلك النبيّ إلى انقضاء الدنيا. فهذا تعبير رؤياك أيّها الملك" ويفسر المفسرون هذه الرؤيا بأنها بشارة مبكرة عن ظهور المصطفى صلى الله عليه وسلم وليست عن المسيح كما يزعم البعض.. وفي التراث الإسلامي أن دانيال كابد صنوفاً مهولة من العذاب والهوان على يد "نبوخذ نصر" في بابل والذي ألقاه في "جب أي بئر". فمكث وقتاً طويلاً واحتاج طعاماً، فأمر الله "إرميا " من أنبياء بني إسرائيل

أن يعد الطعام له وكان بالشام في الأرض المقدسة فأرسل الله من يحمله مع الطعام إلى بابل حيث "الجب" الموضوع فيه دانيال " فقال دانيال: من هذا، قال: أنا إرميا فقال: ما جاء بك، قال: أرسلني إليك ربك، قال: وقد ذكرني ربي، قال: نعم، فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي يجيب من دعاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا وكربنا، والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا". أما ما يتعلق بنبوة دانيال نجد تبايناً بين الديانات السماوية المختلفة حول هذه المسألة فلدى اليهود خلاف حول نبوته على الرغم من وجود سفر باسمه في التوراة وأنه من سبط يهوذا. فيما اتفق المسلمون والمسيحيون على نبوته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن دانيال دعا ربه عز وجل أن تدفنه أمة محمد" وهو ما تحقق في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فقد عثر عليه أبو موسى الأشعري في فتح "تستر وهي مدينة فارسية قوية وحصينة على نهر كارون في الأهواز " أو "السوس" حيث وجد جثمانه في بيت مال الهرمزان موضوعاً على سرير ومكفناً بأكفان منسوجة من الذهب وقيل على حجر طويل كالحوض في خزانة مقفلة وعند رأسه مصحف له، فدفع به عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى كعب الأحبار لترجمته بالعربية والوقوف على محتواه.

وكانت حالة الجسد الطويل ثابتة لم تتغير إلا شعرات من قفاه مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" وقيل وجد إلى جنبه مالٌ موضوع من شاء أن يستقرض منه إلى أجل، فإن أتى به إلى ذلك الأجل وإلاَّ بَرِص فأمر عمر بدفن جسده على وجه السرعة سراً عن العامة خشية افتنان الناس به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دل على دانيال فبشروه بالجنة"، فكان الذي دل عليه رجل يقال له: "حرقوص" فكتب أبو موسى إلى عمر بخبره فكتب إليه عمر "ابعث إلي حرقوص فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة".

وبناءً على هذه الرواية فهناك شبه إجماع أنه مدفون في مدينة "سوسة أو شوشان" بإيران، وقيل: بالموصل. وقيل: نقله تيمورلنك إلى سمرقند بعد هجومه على إيران..

فماذا عن المسجد الحالي وحقيقة نسبه؟

هنا نمضي إلى هوة سحيقة من الغموض فلا يعلم على وجه التحديد متى أنشئ وظروف بنائه.

لكن بحسبةٍ بسيطةٍ، فالفترة التي عاش بها النبي دانيال كانت في فترة السبي التي قام بها نبوخذ نصر على مرحلتين زمنيتين متقاربتين الأولى عام **597** ق.م والثانية عام **587** ق.م بينما إنشاء الإسكندر الأكبر للإسكندرية كان عام **331** ق.م أي فارق زمني بين التوقيتين يقارب **256** عاماً، ومن المحال أن يكون "دانيال" قد عاش كل هذه الفترة لذا فنقول بكل اطمئنان في

ضوء ما تيسر من حقائق نسبية أن دانيال لم تطأ قدماه مدينة الإسكندرية لاستحالة ذلك، كما لم يتحدث أي مصدر تاريخي أن جثمانه انتقل للإسكندرية في أي عصر من العصور بما يقطع أن هذا المسجد ليس لضريح النبي دانيال..

يرى بعض الباحثين أن المسجد ارتبط بدروس الشيخ محمد دانيال الموصلي أحد مشايخ الفقه الشافعي فيه وهو الأقرب للمنطق، وقد قدم لمصر وعاش بالإسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري وقام بتدريس علم الفرائض وأصول الدين على مذهب الإمام الشافعي بهذا المسجد وكان يطلق عليه مسجد الإسكندرية وقتئذ وتوفي عام **810** هـ، فدفن به وحمل اسمه.

ومع كثرة ما تناثر من أقاويل عبر عهود شتى حول وجود جثمان الإسكندر الأكبر أيضاً بهذا المسجد قام المؤرخ حسن عبد الوهاب بالتنقيب داخل المكان فوجد تابوتاً خشبياً كبيراً مكتوب عليه النبي دانيال (واضح أن توقيت الكتابة لاحق وبناء على قناعات الناس وقت الكتابة على الصندوق) وتابوت أصغر منه مكتوب عليه قبر الحكيم لقمان (لاحظ أن له قبور كثيرة بطبرية واليمن وبيت لحم وشمال شرق بغداد) وعدة مقابر إسلامية أخرى..

كان المسجد صغيراً فجدده محمد علي باشا عام **1238** هـ، ودفن فيه الوالي محمد سعيد باشا حاكم مصر ونجله طوسون باشا وهو بشكله الحالي مستطيل به سبعة صفوف من الأعمدة تقسم المسجد إلى ثمانية أروقة

موازية لحائط القبلة وتقوم على الأعمدة عقود نصف دائرية يعلوها سقف خشبي وذلك بحسب وصفه في كتاب "مساجدُ مصر وأولياؤها الصالحون" للدكتورة سعاد ماهر محمد..

****

مولد سيدي العريان

تصور وأنت تحيي هذه الذكري في 10سبتمبر من كل عام الموافقة لذكرى وفاة شخصية حلقتنا أنك تحتفي بالقديس برسوم (برسوما) العريان وليس سيدي محمد العريان! إنها مصادفة لا تحدث إلا في مصر العظيمة تلك البقعة من العالم التي تشهد تلاحماً تاريخياً فريداً بين قطبيها المسلم والمسيحي في نسيج واحدٍ، قوي الصلات، صلب العرى، ثابت الدعائم أبد الدهر..

كان برسوم العريان رجلاً صالحاً عاش في القرن الثالث عشر الميلادي وكان والده ويدعى (مفضل) ذا حظوة ومكانة رفيعة لدى الأقباط بحكم عمله ككاتب لدى الملكة شجرة الدر (ثالث ملكة في الإسلام بعد أروى بنت أحمد الصالحية حاكمة اليمن والسلطانة رضية الدين بنت شمس الدين إلتتمش في دلهي بالهند) أما أمه فكانت من عائلة (التبان) وهو ما جعل الناس يطلقون عليه (برسوم ابن التبان) نسبة لأسرة والدته..

مات الأب (مفضل) تاركاً لبرسوم ثروة هائلة مما جعله مطمعاً لأسرة والدته وعلى رأسهم خاله والذي استطاع الاستيلاء على ميراثه وتركه فقيراً معدماً، فانطلق برسوم إلى دير (مرقوريوس) في المعصرة على طريق حلوان ناشداً العزلة والبعد عن الضوضاء وشرور الناس ومطامعهم.. وكانت (المعصرة) في

ذلك العصر قرية خضراء هادئة ومصيفاً بديعاً تسمى (شهران) وفيها كان مولد موسى عليه السلام، ومنها ألقته أمه في تابوت خشبي إلى البحر؛ لذلك اكتسبت طابعاً دينياً مقدساً...

كان دير (مرقوريوس) والذي حمل اسم دير برسوم بعد ذلك ديراً صغيراً آنذاك وقد تم إنشاؤه في القرن الحادي عشر الميلادي حينما سمح الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله للرهبان ببناء دير خارج القاهرة فبني هذا الدير حاملاً اسم الشهيد (مرقوريوس أبي سيفين)، وذلك بحسب بعض الروايات.

أقام برسوم في مغارة صغيرة داخل الدير وقضى فيها عشرين عاماً استطاع خلالها ترويضَ ثعبانٍ ضخمٍ واستئناسه عبر الصلاة وطوال هذه المدة ظلا مترافقين دون أن يلحق به الأذى. على الرغم من اختيار برسوم للبعد عن الحياة إلا أن الظروف السياسية في هذه الأزمنة أبت إلا وأن تخرجه من العزلة رغم أنفه إلى حراك الحياة ونواكبها ففي عهد الأشرف خليل بن قلاوون تم إغلاق الكنائس عدا الإسكندرية، وصدرت الأوامر للأقباط بالتقيد بلبس العمامة الزرقاء فرفض الانصياع لذلك، وقيل: إنه استمر يصلي بإحدى الكنائس المغلقة فقبض عليه وتعرض للضرب بالسياط..

والراجح عندي أن أزمة برسوم والأقباط في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ربما جاءت ضمن أحداث الكاتب القبطي (عين الغزال) وكان في بداية عهد السلطان توكل بعض المناصب للأقباط بشكل يحقق مبدأ المواطنة وبشكلٍ متساوٍ في الزي والامتيازات.. وفي إحدى المرات وبينما

الكاتب القبطي (عين الغزال) في طريقه صادف سمسار شونة (مخزن غلال) مسلماً كان مديناً لأميره، وتأخر في سداد ثمن غلة ومن مهام الكاتب كما هو معلوم التفتيش والمطالبات بأموال أميره لدى المدينين فنزل السمسار عن دابته وقبل قدمي (عين الغزال) راجياً ومتوسلاً أن يمهله وقتاً لسداد دينه فأبي ومع تشدد الكاتب وسبه وشتمه للسمسار والثاني يعتذر على مرأى من الناس في الطريق ومما زاد الطين بلة اعتقال الكاتب للسمسار.. فحاول الناس السعي لدى الكاتب القبطي (عين الغزال) والذي ركب رأسه وظل على عناده وعند جامع أحمد بن طولون تكاثر عليه الناس وخلصوا السمسار من قبضته، فاستنجد الكاتب بأميره فأمده بالجند المماليك فتصدى الناس لهم قائلين: "ما يحل" في تحول بالقضية من تعثر ماليّ يتطلب المهادنة والإمهال إلى أزمة طائفية أخذت منحى خطيراً للغاية وتبعات جسام حيث رفع العامة أمرهم إلى السلطان واستغاثوا قائلين: "نصر الله السلطان" وما كان السلطان المملوكي ليرد العامة دون قرار نافذ يهدّئ ثورتهم حتى ولو كان القرار جنوني وغير عادل ولم يرافقه تحقيق في المسألة ويتجافى مع تعاليم الإسلام ووصية النبي صلى الله عليه وسلم بأقباط مصرفي حديثه الشريف: (إِنَّكم ستفتحونَ مصر، وهِيَ أرضٌ يُسَمَّى فيها القيراطُ، فإذا فتحتُموها، فاستَوْصُوا بأَهْلِها خيرًا، فإِنَّ لهم ذمَّةً و رَحِمًا، فإذا رأيْتَ رجُلْينِ يختصمانِ في موضعِ لَبِنَةٍ، فاخرجْ منها).

وقد كانت آخر زوجاته منهم وهي السيدة ماريا بنت شمعون القبطية ولكن متى كان يهم المماليك كل هذا.. استدعى السلطان خليل قلاوون كلاً من الأميرين بدر الدين بيدرا النائب والأمير سنجر الشجاعي وأمرهما بجلب جميع النصارى وقتلهم!! بالطبع انتظر الأميران حتى هدأ غضبه واستعاد شيئاً من عقله، فتم الاكتفاء بعزل الكتبة الأقباط من وظائفهم فلا يخدم منهم أحد عند أمير وتخيير الحاليين منهم بين الإسلام أو القتل فهرب عددٌ منهم وأصبحت بيوتهم عرضة للسلب والنهب من جانب العوام فتدخل الأمير بيدرا لوقف هذا النزيف من السلب والنهب وهدد من ينهب بيوت الأقباط بالشنق وقبض على البعض فتوقفت هذه الأعمال المشينة بحق شركاء الوطن وأهل الذمة.. الغريب أن جنون السلطان لم يهدأ فأمر بحفر حفرة كبيرة بسوق الخيل وأن يضرم بها النار ويكون أمام الكتاب النصارى خياران إما الإسلام والعودة لمباشرة أعمالهم أو ضرب أعناقهم والإلقاء بأجسادهم في الحفرة، فأسلموا جميعاً طوعاً أو كرهاً وكان ذلك عام 682 هـ.

والحقيقة ونحن نستدعي هذا النوع من القصص المتسم بالبشاعة نتوقف عند أمرين مهمين الأمر الأول: أن عصور المماليك كانت وبالاً على عقلية الإنسان المصري وسلوكياته الاجتماعية والدينية فأورثته تركة ثقيلة من عموم الجهل واستشراء الفقر والمرض وضياع الهوية وسيادة التدين المظهري وتغليب الانتهازية وديمومة التراخي في الحقوق والسلبية في الواجبات

وتكريس الفتن الطائفية مع الإقصاء وفقدان الهدف وغياب الشعور بالذات أو بالمواطنة والانتماء فأضحى المصري حطاماً، مفعول به على الدوام لا يملك من شأنه شيئاً ولا يعترض على أحواله بنت شفة أما الأمر الثاني ما أجده من بعض المؤرخين المعاصرين الذين ينتقون من التاريخ ما يحلو لهم وما يلائم توجهاتهم فالتاريخ لديهم مثاليّ والحوادث كلها سعيدة مغردة يقفزون على تفاصيل الأحداث الداخلية أثناء عصر سلاطين المماليك لأنها لا تخدم أيدلوجياتهم فهم يعرفون حق المعرفة أنهم لو كتبوا من حقيقتها سطراً واحداً لما صدقهم الناس حول عظمة هؤلاء السلاطين فيما يطلقون المداد وافراً والصفحات غزيرة لتتبع أثر التوسعات والفتوحات الخارجية والذود عن حدود الدولة لإظهار هؤلاء السلاطين بالعظمة والشجاعة وفي النهاية تكون محصلة كتبهم فاقدة لأهم أركان التاريخ وهي العبر والدروس الحقيقية وليست المزخرفة وأهم دروس هذه الحقب المملوكية المظلمة غياب مفهوم البناء الإنساني وميراثه التراكمي الخلاق وأثره الباقي في نفوس معاصريهم والأجيال اللاحقة عليهم فالإنسان المصري كان الأولى النهوض به وتعليمه بشكل ممنهج لا من أموال الأوقاف والصدقات وتقدير ذاته وصونها وكينونته وتنميتها واحترام ديانته وتأمين ماله وحماية عرضه هذه الأمور هي نهج الأمم المتحضرة وهي تعلو أي اعتبار آخر وأي عصر يفتقد لهذه المقومات الأساسية لا يمكن أن يتصف بالعظمة ولو فتح صاحبه بلاد الواق الواق وشيد عجائب الدنيا كافة وبنى

مساجد الدنيا فكلها منجزات لا تعدو كونها هامشية إن فقد الإنسان آدميته وإحساسه بذاته وكرامته فما أكثر ما تجمع من أراضٍ وما شيد من مبانٍ وما أكثر ما ضاع وانهار منها وبقي الإنسان المرآة الحقيقية لعصره فإن صلح كان علامة على صلاح عصره وإن فسد كان التاريخ قاسياً في الحكم على رجالات عصره..

نعود لقصتنا وبعد الإفراج عن برسوم عاد إلى دير مرقوريوس وقضى سبعة عشر عاماً على سطح الدير مرتدياً من جلد الماعز ومن قماش الخيش المشعر ما يستر عورته فقط ومعرضاً طوال الوقت للمطر وأشعة الشمس فاسود جلده مع الزمن واشتهر بين الناس كافة المسلمون منهم والمسيحيون وذاع صيته وتناقل العامة كراماته والتي ربما تسربت إلى أدبيات الصوفية الإسلامية فضموه لتراثهم وصار لديهم "سيدي محمد العريان" وصار العامة يرددون "عم يا عريان يا طب الثعبان"و "ياعم يا رفاعي يا طب الأفاعي..."

****

شارع الأفوكاتو البليغ

واحدة من ثلاث جزر بنهر النيل بين القاهرة والجيزة، لا نكون مبالغين إن قلنا أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من صناعة التاريخ، فبها ترمومتر حياة المصريين ألا وهو مقياس النيل (تحدثنا عنه في كتاب حكايات من بحور التاريخ) وعبرها كان التحول في هوية مصر لتصبح قلعة الإسلام حيث شهدت هروب المقوقس عظيم القبط معتصماً بحصنها القديم بعدما استولى الفاتحون العرب على قصر الشمع فحطم الجسر، ثم مكث بها مع من تبعه من الروم والقبط ردحاً من الدهر، لكن سرعان ما طغت عليها المدنية الإسلامية في ولاية عبد العزيز بن مروان وعلى أرضها وقعت حوادث تاريخية لا تخلو من إثارة ملئها الحب والعشق ونهايتها موت ودماء كما حدث بقصر الهودج المشيد بها (تحدثنا عنه في كتاب حكايات من بحور التاريخ) كما كانت مكاناً هادئاً لأمراء الأسرة العلوية وأشهرهم الأمير محمد علي توفيق وقصره الشهير بها..

جزيرتنا في حلقة اليوم أطلق عليها الإمام جلال الدين السيوطي في كتاب عنها مسمى "الكوكب" إنها جزيرة الروضة والجزء الشمالي منها المنيل.

ومن أقدم شوارع المنيل وأشهرها ذلك الشارع الذي حمل اسم شخصيتنا اليوم لكونه من أشهر ساكنيه..

إنه إبراهيم باشا الهلباوي المغربي الأصل والإسم الساطع في عالم المحاماة وأول نقيب للمحامين المصريين مع مهد إنشاء النقابة عام **1912.**

تلقى الباشا تعليمه في الأزهر كما تتلمذ على يد الشيخ جمال الدين الأفغاني واشتهر بلغته البليغة وفصاحة لسانه الذي كان مضرب الأمثال وسحر بيانه وعناده في الرأي وحبه للجدال وبكونه خطيباً يشتري هوى سامعيه بأي ثمن بحسب وصف عبد العزيز البشري له في كتابه " في المرآة.."

لاحظ أمراً شديد الأهمية في هذه الآونة وهو أن أهم أدوات المحامي في ذاك الزمان هو لسانه وحجته ولو قلب الحق والعلم رأساً على عقب وحسبنا أن نذكر واقعة طريفة تدور في فلك هذه الفكرة وقد أوردها المحامي الكبير والكاتب الأشهر فكري أباظة ضمن ذكرياته في صفحته (كلمة) في عدد المصور **2807** في **25** يوليو **1978** من أنه كان موكلاً في قضية جنائية في الزقازيق، حيث خدع أحد الأعيان عمدة بلدته وكان بينهما ثائراً وأوهمه أنهما في مجلس صلح وقدم له قدحاً من القهوة دس فيه مادة "الأستركنين" السامة وسميّة هذه المادة معلومة للطالب بكلية الصيدلة وكنت أنا ومجموعة من الأصدقاء نجتمع في بيت أحدنا ونجري التجارب عليها قبل الامتحان على الضفادع التي كان يجلبها صديق لنا من حديقة بجوار منزله فتحدث بها تشنجات عضلية واضحة تعقبها الوفاة عبر الاختناق.. مات العمدة متأثراً بالقهوة وفي سبيل تبرئة المتهم طلب (فكري) رأي الدكتور محجوب ثابت بصفته متخصص في الطب الشرعي (تحدثنا عنه في كتاب

على هامش التاريخ والأدب وله شارع شهير في حي العجوزة) فإذا به بطريقته الساحرة في الإلقاء وبتجارب ادعى أنه أجراها على الأرانب والقطط بنفسه وأوردها في تقريره ينفي سُميّة الأستركنين!! متحدياً تقرير الطبيب الشرعي الإنجليزي (أصبح من أكبر أطباء أسكتلندا ومديراً لجامعة أدنبره بعد ذلك) الذي ذهل من هذا الإدعاء المجافي للعلم وأخرج من حقيبته الأستركنين ليجربه ثابت بنفسه وهنا تدخل فكري لإجهاض هذه التجربة..

وكانت النتيجة الحكم ببراءة المتهم وعلى عادة البعض في الصياح والتهليل للانتصار في معارك عبثية لا علم فيها ولا منطق لمجرد كونها ضد المستعمر صاح (محجوب ثابت) بعد الحكم " أنا قتلت إنجلترا ونصرت مصر أنا الذي قلت كلمة الحق (ليته ما قالها) وأخذ القضاء العادل بها"..

وكأننا غفلنا عن حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إنَّما أنا بَشَرٌ وإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ ألْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قَضَيْتُ له مِن حَقِّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإنَّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّار).

نعود لشخصية هذه الحلقة ولأنني قطعت على نفسي وعداً ألا أكرر في كتاباتي الفصول نفسها من حياة كل شخصية تستدعي الأحداث إعادة ذكرها وأن أنقب في الماضي عن الجديد في كل مرة وهي مهمة شاقة وجهد لو تعلمون عظيم...

لقد تناولت ملامح شخصية إبراهيم الهلباوي وحادثة دنشواي بشيء من التفصيل في كتاب (مرآة التاريخ) كما تناولت دفوعه في مسألة الشدة على فلاحي دنشواي وإلصاق التهمة بهم إلى حد وصفه بجلاد دنشواي، وذلك في معرض ردي على أسئلة القراء في كتابي (تاريخ حائر بين بان وآن)..

الأمر ذاته فعلته مع السيدة هدى شعراوي والتي تحدثت عن موقفها المؤسف من قضية ابنها مع إحدى المطربات وذلك في كتاب (على هامش التاريخ والأدب) كما دافعت عن سلامة مواقفها في ميدان العطاء المادي والأدبي وذلك في أكثر من موضع بكتاب (نوستالجيا الواقع والأوهام) لكن أحياناً البحث بين أوراق الصحف القديمة يقودك إلى مسائل تبدو جديدة ومدهشة فعلى خطى صديقتها (منيرة ثابت) في القبول أن تكون زوجة ثانية نجد رائدة التحرر النسائي هدى شعراوي تقدم على الخطوة نفسها وتسير على الدرب نفسه، وعلى طريق ابنها نفسه أيضاً في الزواج السري فعلى عهدة صحيفة (آخر ساعة) في عددها **182** في **26** ديسمبر **1937** أن السيدة هدى شعراوي تزوجت من محامي دائرتها وبطل حلقتنا اليوم الأستاذ إبراهيم الهلباوي (كان متزوجاً وقتها) بعقد شرعي وأنهما ظهرا معاً في رحلاتها إلى أوروبا، وأنها ردت إليه بيته بقصر الدوبارة من مالها الخاص حينما وقع عليه الحجز، ثم تزعم المجلة أن الطلاق وقع بين الطرفين بعد خلاف عنيف وتنقل المجلة عن إبراهيم الهلباوي قوله في وسط جمع محدود من أصدقائه: "لماذا تخفي زواجها مني ولقد كنت زوجها

بعقد شرعي أمام الله وأمام الناس وإن لم تصدقوني فاسألوا شريفة هانم رياض فعندها "الخبر اليقين" دخلت علينا مرة في جلسة لا يمكن أن تكون إلا بين زوجين!"... الغريب أن كلا الطرفين المعنيين لم يردا بالنفي أو الإثبات على كلام المجلة بل جاء الرد من السيدة شريفة هانم رياض التي استشهد بها الهلباوي وكان بألفاظ نابية تجاه المجلة والتي امتنعت عن نشر الرد ونوهت لذلك في عددها **183** في **2** يناير **1938** مع احترامها للسيدة هدى شعراوي وأن ما جاء في الخبر لا يمس شخصها.. لكن المجلة في عددها **185** في **16** يناير **1938** عادت لتتراجع لأسباب غير واضحة بشكل تام مفضلة احتواء المسألة ومرتكنة لرد شريفة هانم الذي لم يعجبها ولم تأخذ به في المرة السابقة فكذبت المجلة الرواية برمتها مؤكدة احترامها للسيدة هدى شعراوي مرة أخرى!

على الرغم مما تتسم به مذكرات الهلباوي من مراوغة في كثير من المواضع، إلا أن قراءة هذه المذكرات بتمعن يوحي بأن العلاقة بينه وبين هدى هانم كانت أكبر من مسألة علاقة بين محامٍ وموكلته؛ فهو يقول: "قامت السيدة هدى هانم تودعني حسب عادتها، فقلت لها: إنني مسافر غداً، وأخشى ألا أراك إلا بعد قليل من الأيام؛ فذعرت وقالت: أين أنت ذاهب؟ فراجعت نفسي وترددت قليلاً، ثم قلت: أنا مسافر إلى بني سويف (كان في الحقيقة مسافراً إلى تركيا هرباً من الدائنين) في قضية قد لا تنتهي غداً، وقد أضطر للبقاء يوماً آخر، وهكذا كل ما عنيته من أن عودتي إليك قد تتأخر على

خلاف العادة... قلت هذا وأمسكت بيدها مقبلاً، فخانتني عبراتي حتى سقطت على يدها". ويعترف في موضع آخر أن هدى هانم سدت عنه دينه، ودعته للعودة كي لا يقترب من المسألة كونه وسيطاً بين الهانم وفاطمة، سرى لإقناعها بنسب طفلتها من ابن الهانم محمد بيك شعراوي لرجل آخر!
نعود لخبر المجلة مرة أخرى، بالطبع شتان بين اللهجة القطعية التي انتهجتها المجلة في عرضها للخبر وبين تراجعها عنه باقتضاب، لكن على أية حال ماذا لو فرضنا ولو بنسبة ضئيلة أن ذلك حدث فذلك يكشف عن حجم الفصام الكبير الذي تحمله هذه الشخصيات التي تحرم في العلن على غيرها ما تسمح به لنفسها في الخفاء مع أن التعدد هو شرع الله الذي أوجده لعلاج مشكلات اجتماعية جمة وارتضاه لعباده وهو من مظاهر عبقرية التشريع الإسلامي ومن درره الفريدة التي تميزه..

على هامش هذه الحلقة:

إن عزمت يا عزيزي القارئ أن تضيء حياتك بهذا التشريع المبارك فاحذر أن تسلك أحد هذين السبيلين:
الأول: ما طالعتنا به مجلة المصور في عددها 23 في 27 مارس 1925 وخميس محمد العربي الخفير في قسم الجمرك بالإسكندرية وعمره وقتها 97 سنة والذي تزوج 27 مرة، وأنجب ما يزيد عن خمسين أكبرهم عمره 70 سنة وأصغرهم طفلة عمرها 3 سنوات وعلى المنوال نفسه عم محمد أفندي

عمران التاجر بالزقازيق وعمره **112** عاماً، وآخر أطفاله طفلة تبلغ سبعة عشر شهراً وينتظر مولوداً جديداً بحسب الدنيا المصورة في **18** مايو **1930**.... لا نعلم ظروف الرجلين كي لا نظلمهما وقد مارسا حقهما الطبيعي بلا شك ولكننا أعلم بظروف حياتنا المعاصرة وشؤون دنيانا المتعددة والتعدد الكثير مع الطلاق الكثير لا يخلق حياة مستقرة كما أن تطبيق الهدي النبوي المبارك في كثرة النسل قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَناكحوا تَناسلوا أُباهي بكم الأممَ يومَ القيامةِ" لا يعني الدفع بأعداد لا حصر لها من الأبناء بما يضيع حقوقهم مع تقادم عمر الأب وقرب أجله وحسبنا قول الله تعالى في سورة النساء: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9)) فحكم عقلك في رحلتك حتماً ستجد خطوات طريقك الآمن..

الثاني: ما طالعتنا به مجلة العروسة في عددها **380** في **11** مايو **1932** وعيسوي الشريف الذي تزوج ستين امرأة وحكمت عليه محكمة جنايات طنطا غيابياً بثلاث سنوات وذلك لأنه كان يوقع الطلاق بزوجاته دون معرفتهن ويعاشرهن معاشرة الأزواج!! وقد افتضح أمره بعد أن تزوج من فتاة قاهرية متعلمة وأسكنها قصره الفخم في بلدة (إبيار) بكفر الزيات ورزق منها ولداً فلما أرادت زيارة أهلها بالقاهرة، ثم عادت وجدته تزوج بزوجتين أخريين في القصر، فلما غضبت حاول أن يراضيها بسكن منفرد

في طنطا، فقبلت ثم فوجئت بزواجه من الرابعة، فتقدمت بدعوى شرعية تطلب النفقة.. المفاجأة أن المحكمة رفضت حيث تبين أن الزوج تقدم بورقة عرفية بتاريخ قديم تثبت طلاقها منه وانقضاء عدتها، وبالتالي أصبحت لا تستحق النفقة، فتقدمت الزوجة ببلاغ ضده في النيابة أنها لازالت زوجته ويعاشرها، وبتفتيش منزل الزوج وجد أربع زوجات وفي إحدى خزائنه وجدت ستين ورقة عرفية، كلها تثبت طلاق زوجاته خافياً عن بعضهن أنهن مطلقات... القصة على عهدة المجلة لاشك أنها إهدار لحقوق الزوجات وتلاعب في قدسية الزواج والطلاق، فالتعدد المنشود نظام اجتماعي راقٍ يراعي حقوق الزوجات والأبناء ويضمن العدالة من أجل مجتمع صحي وقوي ومتماسك (راجع كتاب على مقهى الأربعين).

وللأسف هذه الصورة لا تبتعد كثيراً عن واقعنا ولنا في أحد رجال الأعمال المحسوبين على التيار الإسلامي، وله محلات شهيرة لأزياء المحجبات في ربوع مصر مثالاً محزناً مع زيجاته المتعددة من العذارى وبعضهن قصر والتي وصلت 21 زيجة بحسب إحصاء 2002 م (سبعون عاماً من الحادثة الأولى فلا شيء يتغير في مصر) حيث قبض عليه وقتها لجمعه بين 5 زيجات في وقت واحد!! وذلك لنسيانه أن إحدى زوجاته لم تنتهِ عدتها بعد.

قال تعالى في سورة الروم: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(21)) وقال أيضاً في سورة النساء: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (21))..

بالمناسبة وعلى هامش هذه الحلقة لمن لا يعلم شريفة هانم رياض الشاهدة على زواج الهلباوي بهدى شعراوي والنافية لذلك أيضاً بحسب المجلة ولو بحثت عنها على محرك البحث جوجل لما وجدت عنها سوى النذر اليسير على الرغم من دورها البارز ضمن الرعيل الأول بين رائدات التحرر في مصر فهي ابنة حسن راسم باشا محافظ الإسكندرية ولقبها "رياض" الذي تحمله هو نسبة لزوجها محمود باشا رياض محافظ القنال ابن رئيس النظار رياض باشا (تحدثنا عنه في الثورة العرابية في تاريخ حائر بين بان وآن) الطريف أن زواج محمود باشا لم يكن مرتباً له في البداية أن يكون من شريفة هانم إنما من شقيقتها من أبيها (إحسان هانم) والتي توفيت قبل العرس فتحول العريس بإلحاح من والدته ووالدة إحسان إلى الصغرى "شريفة" كما وهبتها الوالدة المكلومة كل ما كان عندها من جهاز ابنتها «إحسان هانم» ونيشان تاج مرصع بالماس وقيمته **1500** جنيه، وحينما توجهت لزيارتها في الصباحية أهدتها "ساعةَ ألماس، وعقدَ لؤلؤ ذا أربعة فروع، وفي وسط كل فرع زمردة قدر بيضة الحمام، وجوز أساور، وخاتمَ ياقوت ثميناً يحتاط به البرلنت. كما أهدت للعريس سُبحة وسلسلتها مرصعة بالماس والياقوت، وكيس دراهم من سلك الذهب" وعرفت هذه الزيجة في التاريخ بالأفراح الرياضية في ديسمبر **1892** واستمرت سبع ليال.. انظر أخلاق زمان

وفلوسه أيضاً ومجتمع التعدد الذي خرجت منه شريفة هانم وهدى هانم أيضاً (راجع على هامش التاريخ والأدب).. لا تبتئس عزيزي القارئ ولربما أثرت شجونك تجاه مديونياتك الكثيرة وشبكة زوجتك التي بعتها والتي ربما لا تتجاوز ثلاث غوايش حصلت عليهم من إرث والدتك الراحلة أو من حصيلة عملك لسنوات ومصنعيتهم جلها من نحاس فهوّن على نفسك واعلم أن هذه الهدية التي تبدو لك مهولة من زوجة الأب" أم إحسان " كانت نقطة في بحر ما أهدي من حلي مرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة بين الزوجين ويكفيك أن تعلم يا صديقي كاظم الغيظ أن "الشبشب" في غرفة نوم العروسين وحده كان مشغولاً باللؤلؤ وعليه رسم وردة من الماس!! وإن لم تصدقني فارجع لكتاب (الرسائل الزينبية) لزينب فواز طبعة **1905**م لترى قائمة مهولة من الهدايا لا عين رأتها ولا أذن

سمعتها قط، لفرح من أفراح كبراء مصر ولك الله يا مصر الفقيرة!!.. كانت السيدة شريفة هانم رياض من أبرز الشخصيات في لجنة الوفد المركزية للسيدات مع هدى شعراوي وأكثرهن نشاطاً، وقد أنشأت جمعية المرأة الجديدة وكان لها دور كبير في ثورة **1919** وتنظيم إضراب الكناسين الشهير.. ولا ننسَ دور شريفة هانم في مراحل اختيار عروس المستقبل المشرق لزعيم الوفد مصطفى باشا النحاس وكان من شروطه أن تكون بكراً وفدية أو غير حزبية عوان بين علو النسب وتواضع الثراء ووقع

الاختيار في النهاية على زينب الوكيل من سمخراط مركز الرحمانية محافظة البحيرة وابنة أحد منشقي الوفد والمنضمين لحزب الشعب بفارق عمري يتعدى الخمسين عاماً!! وكانت شريفة هانم من معارضي انقلاب إسماعيل باشا صدقي على الدستور غير أن القدر وضع نهاية لدورها الاجتماعي والسياسي مبكراً حينما توفيت ابنتها وكانت عروساً، فزهدت الحياة وابتعدت عن الأضواء عام **1936**م، حتّى وفاتها عام **1954**م، لكن الواضح أنّ الخبر الذي أوردناه أخرجها من عزلتها حينها وأثار غضبها، ولما كانت شريفة هانم أول سيدة رفعت النقاب عند بيعها الزهور لحسين رشدي باشا رئيس الوزراء آنذاك في إحدى حفلات الإحسان أثناء ثورة **1919** نظير ثلاثين جنيهاً (بحسب تصريح الأستاذ عبد الحميد حمدي صاحب السفور لمجلة آخر ساعة في **24** ديسمبر **1947**) فبعد اعتزالها أهدت في **7** أكتوبر

عام **1940** وكان موافقاً لشهر رمضان لحجرة المخلفات (أي المقتنيات) النبوية بالمسجد الحسيني فنيارين (أشبه بالقنديل) ثمينين تتدلى منها ثريات متداخلة في أشكال هندسية جميلة احتفت بهما وزارة الأوقاف وقتها وهي من المآثر الطيبة التي تحسب لها.

****

ضريح الذوق

خلف أمثالنا الشعبية حدائق غناء من القصص بعضه يقترب من الأسطورة وبعضه الآخر يعانق الخيال، لكن جميعه لا يخلو من العظة والاعتبار، فإن لم تلامس القصة لبك فحسبك أن تنهل من رحيق مغزاها.

يقولون في المثل الشعبي: "الذوق مخرجش من مصر" ويقولون أيضاً: "خليك ذوق" فما قصة الذوق؟

أسفل باب الفتوح وفي نهاية شارع المعز يقبع ضريح صغير من خشب عليه قبة خضراء يعلوها هلال ذهبي.. من داخل هذا الضريح يبدأ العنوان "إنه ضريح العارف بالله سيدي الذوق".. تتعدد الروايات حول صاحب الضريح "محمد الذوق" ونحسبه رجلاً صالحاً ولا نزكي على الله أحداً (جاء في صحيح البخاري: أَثْنَى رَجُلٌ علَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: ويْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، مِرَارًا، ثُمَّ قالَ: مَن كانَ مِنكُم مَادِحًا أخَاهُ لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أحْسِبُ فُلَانًا، واللَّهُ حَسِيبُهُ، ولَا أُزَكِّي علَى اللَّهِ أحَدًا، أحْسِبُهُ كَذَا وكَذَا، إنْ كانَ يَعْلَمُ ذلكَ منه) وكان يفصل في النزاعات والمشاجرات بين الأهالي فقال له أحدهم ذات مرة: "خليك ذوق" فغضب الرجل وقرر الرحيل فسقط من فوره عند باب الفتوح ودفن مكانه وقيل: إن سبب عزمه على الرحيل أنه طعن في السن وسئم

مشاحنات الأهالي التي لا تنقطع في العهد المملوكي وما أكثرها. وقيل: إن دافعه للرحيل هو ضيق سعة اليد وقلة الرزق وهو سبب وجيه أيضاً في العهد المملوكي وهو ما نستطيع القول معه تعددت الأسباب المملوكية والرحيل محتم!! لكن تشذ عن هذه الأسباب رواية أخرى أن أصول الذوق كانت مغربية وحينما اشتد عليه المرض أراد أبناؤه الرحيل به لوطنه الأم ليموت به على الرغم من معارضته لذلك فعز عليه أن يفارق مصر مرغماً ومات من فوره ليبقى الذوق بين أهله الذين أحبهم وأحبوه حتى يومنا هذا فصار مقياساً لكل ما هو حسن معنوياً أكان أو مادياً.

****

محمد أفندي في رمضان

شعور بالسعادة يغمرني وأنا أجلس في مكتبتي بالمنزل أو على هاتفي وقد حولته لمكتبة هو الآخر من فرط ما يحمله من أرشيف تاريخي بذلت جهداً مضنياً في تجميعه.. وفي أوقات الراحة كثير ما أطلق العنان لعقلي لأسرح على أعتاب الماضي أتصور نفسي في خضمه تخالجني مشاعره وتصارعني تقلباته وتحيطني محاسنه وتغمرني أيضاً مساوئه.. وفي هذه الحلقة هب أن صاحبكم محمد أفندي فتحي قد قرر أن يرتحل بآلة الزمان إلى الماضي وتحديداً عام **1936**م واختيار هذا العام تحديداً ليس من فراغ؛ إذ صادف أن من مقتنياتي التاريخية "كراسة الامتيازات لرابطة موظفي الحكومة المصرية المشمولة برعاية صاحب الجلالة الملك بالزقازيق **1935-1936**م مطبعة عروس بالزقازيق" كما أنّ هذا العام شمل نوعاً من الاستقرار السياسي مع توقيع معاهدة **1936**م بعد احتجاجات واسعة في رمضان من العام السابق وعلى الصعيد الاقتصادي، فقد كانت مصر تشمر عن سواعدها لتشجيع الصناعات وإن جاء أغلبها استهلاكياً وبالنسبة للجنيه المصري والمرتبط بالجنيه الإسترليني صعوداً وهبوطاً منذ انفصاله عن الذهب مع بدايات الحرب العالمية الأولى عام **1914**، فقد كان في أسعد حالاته إذ شهد ارتفاعاً في قيمته منذ عام **1934** ليتجاوز الـ**5** دولارات (**5.16** دولارات)

بعد سنوات من انخفاض قيمته متأثراً بقيمة الجنيه الإسترليني على عكس أموال الأسرة الحاكمة في مصر التي ظلت في تصاعد دائم لا يشوبه اضطراب وبحسب مجلة كل شيء والدنيا في **17** أبريل **1935**، فأغنى أغنياء مصر وقتها سمو الأمير أحمد سيف الدين بثروة ستة ملايين من الجنيهات (تناولنا قصة إطلاقه الرصاص على الملك فؤاد في كتاب حكايات من بحور التاريخ) وكذلك الأمير كمال الدين حسين والأمير يوسف كمال والخديوي عباس حلمي الثاني الحاكم والمستثمر في آن واحد وثروته خارج مصر، وبحسب المجلة فهو يملك مصرفاً مالياً في أوروبا وأخفق في إنشاء بنك بالحجاز لكنه يحاول استثمار أمواله في فلسطين سعياً لاعتلاء عرشها (من الأمور الغامضة في حياة الخديوي السابق) أما أغنى الأغنياء المقيمين في مصر هو البارون إمبان صاحب ضاحية هليوبوليس.. أما عن أسباب اختياري "الزقازيق" لتكون محط آلة الزمان فمن بينها أن الزقازيق بلدتي التي أعيش بها كما أن المصادفة الطيبة التي جمعتني بهذه الكراسة تحتوي على أماكن بالزقازيق غيب بعضها القدر. السبب الثالث أن الزقازيق مدينة شيدت في عهد الأسرة العلوية إذ جاءت بدايتها مع بناء محمد علي باشا القناطر على بحر مويس في هذه المنطقة عام **1832**م، وزيارته لها وترحيب الشيخ (إبراهيم زقزوق) أحد أعيان المنطقة به وأفراد عائلته فبارك تسمية القناطر والمدينة بالزقازيق والزقازيق جمع زقزوق وهو سمك نيلي صغير له شوكة حادة في ظهره.. أما السبب الرابع والأهم عندي أن

الزقازيق كانت بعيدة عن مرمى زيارات حكام مصر إلا فيما ندر فلم أجد في رحلة بحثي المتواضعة سوى زيارة الخديوي توفيق للزقازيق واستقبال أمين باشا له في منزله (المقصود في الغالب أمين باشا الشمسي) بحسب كتاب (الحياة في البلاط الملكي المصري) لألفريد جوشوا بتلر عن هذه الزيارة.

أما السبب الأخير أن كرم الشراقوة يستحق ألا يغيب ذكره في رمضان فالتاريخ يذكر أن امرأة هي ماريا القبطية لها إقطاعية بقرية (طاء النمل) ألحت في استضافة الخليفة المأمون وقادته عام **217** هـ ، أثناء زيارته لمصر (قبل عام واحد من وفاته) وقدمت له وحاشيته أطعمة كثيرة، فلما أصبح جاءته ومعها عشر وصائف محملين بأطباق عشرة فظنها في البداية هدايا ريفية لكن تملكته الدهشة حينما وجد في كل طبق كيساً من ذهب وزادت دهشته أنها جميعاً ضربَ عامٍ واحدٍ أي أنه إيرادها في عام واحد!! فشكرها وأبى أن يأخذها لكنها ألحت إلحاحاً شديداً على عادة الشراقوة (رحم الله أمي كان لديها هذه السجية) قائلة: "يا أمير المؤمنين هذا الذهب من هذه الطينة التي تناولتها من الأرض، ثم من عدلك يا أمير المؤمنين، وعندي من هذا الذهب شيء كثير". فضمه المأمون لبيت المال وأقطعها عدة ضياع وأهداها من قريتها مائتي فدان بغير خراج. كما يحفظ التاريخ للشراقوة من أهل إكياد مركز فاقوس أنهم وجهوا الدعوة لأول قطار من فاقوس للصالحية عام **1863**م، لكن سائقه لم يعر ذلك انتباهاً لأنه كان إنجليزياً يجهل لغةَ وعادات الشراقوة، وقيل: ذبحوا جاموسة ووضعوها على

قضبانه (توجد روايات عدة بتواريخ وتفاصيل مختلفة ترنو لنفس المغزى) وظل هذا الكرم ملازماً لهم ففي العدد **1544** من المصور في **14** مايو **1954** والموافق **11** رمضان وأثناء مرور القطار المتجه إلى القاهرة بالزقازيق وقت الإفطار قدم الشراقوة للركاب ومنهم جنود من الجيش أكياساً ورقية بها أطعمة شهية كالفطير المشلتت والأسماك.

في **15** نوفمبر **1936** م الموافق أول رمضان حمل محمد أفندي فتحي كراسة الامتيازات في يده اليمنى وبيده اليسرى منشته البيضاء الطويلة وأمال طربوشه وأحكم وضعه وارتدى بذلته الزرقاء الأنيقة المرتبة باهتمام وأخرج حذاءَه الكاوتشوك المخصص للمناسبات لكنه علاه التراب فلم يهتمِمْ وهي من عادات محمد أفندي أن ينساه على هذه الحالة الرثة فمنذ أصابه مرض السكري وهو يرتدي بلغته الفاقوسي البيضاء المدببة من الأمام..

بدأ محمد أفندي يطالع صفحات الكراسة في الشارع ليقرر من أين يبدأ فقرأ المقدمة " تمكنت رابطة موظفي الحكومة بالزقازيق بفضل الله وبمعونة رئيسها الجديد صاحب العزة الميرالاي السيد بيك رمزي وكيل مديرية الشرقية من الحصول على امتيازات اقتصادية قيمة بعضها بالمجان والبعض بتخفيض كبير عن الأسعار المحددة" ولأن اليوم هو الأول من رمضان ومحمد أفندي قد خبر أن زيادة آلام أسنانه مع رمضان مبعثه جفاف الفم بسبب الامتناع عن الطعام والشراب، وبالتالي يقل إفراز

اللعاب ويزيد نشاط وتكاثر البكتريا، فقرر أن تكون محطته الأولى هي عيادات الأسنان، ففتح صفحة 11 من الكراسة عند "الدكتور كامل محمد حسن بكالوريوس في الجراحة واختصاصي الأسنان بالمستشفى الأميري الكشف مجاناً، 5 قروش خلع الضرس بالبنج، 25 قرشاً حشو الضرس أو السن بالبلاتين، 20 قرشاً حشو الضرس أو السن بالبورسلان، 50 قرشاً حشو الضرس ذهب، 50 قرشاً طربوش ذهب عيار 22، 80 قرشاً سن ذهب صب" طبعاً عرفتم الآن لماذا كانت سرقات الموتى قديماً كثيرة خاصة من أقارب المتوفى؟! المهم استغل محمد أفندي الكشف المجاني وفحص لثته وأسنانه وكتب له الطبيب مضاداً حيوياً ومسكناً ومضمضة لتهدئة الالتهاب فطالع محمد أفندي صفحة الصيدليات لصرف الدواء والاستفادة من خصومات الكراسة فوجد: "أجزاخانة جالينوس شارع عباس (كان يسمى البورصة قديماً وحالياً البوستة):

1-الأدوية الجاهزة يضاف على الفاتورة 5 مليمات لما تبلغ قيمة 10 قروشاً و10 مليمات لغاية 20 قرشاً و15 مليماً لما يتجاوز ذلك.

2- الأدوية المحضرة 10 في الماية، أجزاخانة خليل (لاتزال حتى يومنا هذا بجوار مديرية الأمن) خصم 5 في المايه من الجاهز و10 في المايه من المحضر، أجزاخانة شالوم خصم 5 في المايه الجاهز و 10 في المايه المحضر"

ولتقارب العروض بين الصيدليات اختار محمد أفندي الأجزاخانة الأخيرة لأنها الأقرب منه واسمها أجزاخانة الشرقية الكبرى بشارع المديرية

بالزقازيق لصاحبها جاره اليهودي شالوم الباز فابتاع منه الدواء وتبادلا التحية والتهاني والترحاب وقد مضى شهر شعبان كله دون أن يلتقيا...

ولأنّ طلبات زوجته أميرة هانم وابنتيه نور هانم وأسيل هانم أوامرٌ ولزامٌ قضاؤها في اليوم الأول من الشهر الفضيل ففتح محمد أفندي صفحة **17** ومحال القصابين (الجزارة): "المعلم عثمان مرسي بشارع مولد النبي، المعلم محمد أحمد البوشي بشارع المحكمة القديمة، المعلم علي عكاشة بشارع الحمام.. المعلم سيد شلبي بشارع عباس وخصم **5** في المايه في اللحم الدرجة الأولى ضأن وعجالي والميزان بدون ورق (لاحظ الدقة)، المعلم إبراهيم شلبي بجوار أنستى خصم **2** ونصف في المايه"ومن بعدها صفحة **18** ومحال البقالة: "محلات حسين محجوب أفندي شارع الحريري، محلات واصف غطاس أفندي أمام أنستى، محلات محمد جمال الدين أفندي ومحلات إبراهيم سرحان أفندي ومحلات عبد اللطيف خاطر أفندي بشارع المحكمة القديمة، محلات الحاج عفيفي بسام بالمنتزة خصم **5** في الميه ما عدا السكر"، ثم انتقل إلى محلات الخردوات صفحة **19**: "محل الشلقامي والقنصل بميدان المنتزة، محل أحمد العقاد بشارع الفراخة خصم **2** في الميه من أسعار المحل المحددة على ألّا يقل المبلغ عن **25** قرشاً."

الجميل أن محمد أفندي اشتري الأدوية وكل متطلبات منزله من المحال بشكل كريم ووجد الخصم حقيقياً وهو النادر في زماننا الآن..

عاد محمد أفندي محملاً بأغراضه إلى منزله وفجأة ولعلها عين الحسود قد أصابته وبينما يصعد الدرج علق طرف البنطال بمسمار به فسقط محمد أفندي وانقطع البنطال والجاكيت.. إذاً لابد من ترزي ولأن الوقت قد داهمه وأغلقت المحال فعزم أن ينتهي من عمله بالغد ويذهب ومعه كراسة الامتيازات لشراء بنطال أو بذلة كاملة أو إصلاح ما تلف منها..

كان محمد أفندي أجزجي بالاسبتالية الميري وبعد انتهاء العمل انطلق في أثر كراسة الأمس وصفحة **19** حيث الترزية "الخواجة بندلى بندليدس بشارع البوستة خصم **10** في المايه من الأسعار: **200** قرش أجرة تفصيل بدلة صوف كاملة، **175** قرش أجرة تفصيل بدلة بدون صديري، **125** قرش أجرة تفصيل بدلة صيفي.. إبراهيم أفندي يوسف شارع البوستة خصم **15** في المايه من الأسعار العادية.. الخواجة (يني) شارع البوستة خصم **10** في المايه من الأسعار العادية.. كامل أفندي علي مكاوي بشارع عباس إضافة **5** في المايه على أثمان الصوف الموضحة: **130** قرش أجرة تفصيل بدلة قماش كاملة، **120** قرش أجرة تفصيل بدلة قماش بدون صديري، **100** قرش أجرة تفصيل بدلة قماش نصف بطانة، **70** قرشاً أجرة تفصيل بدلة تيل كاملة، **160** قرش بدلة سموكن، **250** قرش بدلة ردنجوت" وفي النهاية اختار محمد أفندي أن يشتري بذلة قماش من المحل الأخير وقد كان والده الحاج فتحي أفندي زبوناً لدى والده علي مكاوي تاجر الأقمشة بالمنتزة

بالزقازيق (عمل لديه عبد العزيز باشا رضوان في بدايات حياته راجع تاريخ حائر بين بان وآن).

وبينما هو عائد للمنزل فرحاً بالبذلة الجديدة وجد في طريقه سينما (أبولون) فعاد لكراسة الامتيازات ليشاهد عروضها لبعد العيد عسى أن يدخل البهجة في نفوس أسرته مع قدوم العيد.. نظرة مستقبلية ولكنها عادات محمد أفندي في بعث البهجة ففتح صفحة 23 فوجد الأسعار: "لوج: الثمن الأصلي 25 قرشاً والثمن المخفض 16 قرشاً، تذكرة درجة أولى: الثمن الأصلي 5 قروش والثمن المخفض 3 قروش، تذكرة الأولاد: الثمن الأصلي 5 قروش والثمن المخفض قرشين، اشتراك شهري: الثمن الأصلي 30 قرشاً والثمن المخفض 25 قرشاً، وذلك لجميع الحفلات عدا ماتينيه أيام الآحاد ولحفلات التمثيل امتياز خاص ويرجع للسكرتارية لمعرفة التخفيض في كل حفلة وتذاكر السينما المخفضة موجودة بدار الرابطة".. ولأن الأسعار متغيرة قرر أن يُرجئ القرار لحينه ولكل حادث حديث.

جولة ممتعة بين ثنايا الزقازيق خاضها محمد أفندي في رمضان لم يقطعها عليه سوى نداء زوجته "أم نور وأسيل": لقد أسرفت في النوم يا زوجي الحبيب وحان وقت أذان المغرب ولابد من الاستيقاظ من النوم للاجتماع حول المائدة..

خواطر إيمانية في شهر البركة

بعد إصابتي بكوفيد 19، ثم وفاة أخي الأكبر ومن بعده والدتي الحبيبة أعترف أن أموراً كثيرة قد تغيرت في حياتي بشكل كامل وجذري، فأصبحت أشتم رائحة الموت حولي وداخلي.. لم يعد الموت مجرد ذكريات أسمعها في محيط الأهل والأصدقاء أو عبر حادث يقع بمفازة عني، بل أصبح قريباً وقريباً جداً.. فعدت أرتب نفسي وحياتي من جديد استعداداً لهذه الرحلة الأخيرة وما أصعب الاستعداد وثقله على النفس الآمرة بالسوء، فاستجمعت إرادتي غصباً عنها وأيقنت بعد محاولات عدة أن مغالبة شرور النفس بالإكثار من الخير هو نقطة البداية فصار القرآن رفيقي وأصبح لي ورد يومي منه ومن الدعاء لا يفارقني ولا أفارقه آناء الليل وأطراف النهار وحول أحب سور القرآن إلى قلبي فكلها سواء في محبتها لقلبي وعقلي لكن أقربها لنفسي سورة الإسراء لشموليتها للأطر العامة للإسلام عقيدة وأخلاقيات وهي السورة التي خلدت رحلة الإسراء والمعراج للمصطفى صلى الله عليه وسلم تثبيتاً لفؤاده والتحول بالرسالة المحمدية إلى مرحلة الإعجاز الإلهي على مرأى ومشهد من صناديد قريش المعاندين لجوهر الإسلام وفلسفته الرامية لتحرير البشر من العبادات الوثنية والشرك وتخليص البشر من عبادتهم لبعضهم البعض. انظر المناظرة الشهيرة بين

الخليفة العباسي (المهدي) وبطريرك كنيسة المشرق (طيماثيوس) وإجابة الأخير عن رأيه في النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه "كان يمشي على خُطى الأنبياء" ذلك أنه "أعدل شعبه عن عبادة الأوثان إلى معرفة الله الواحد" كما تمخضت الرحلة السماوية للنبي عن بلورة الشعور لدي المؤمنين بأنهم أهل كتاب سماوي عليهم مسؤوليات تجاه أداء الفروض والالتزام بالواجبات حيث فرضت الصلوات الخمس في هذه الرحلة المباركة. قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) كما أكدت آيات السورة على منزلة القرآن الكريم ودوره في الهداية الشاملة للبشرية والشفاء أيضاً لأمراضها النفسية والعضوية. قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)) وقال تعالى أيضاً: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82))، وتضمنت الآيات ملامح هذا الدين العظيم في الدعوة للفضائل وموجبات الفطرة السليمة مثل آداب بر الوالدين في قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)).. كما تضمنت العديد من الخصال الأخرى التي ينبغي أن تكون من شمائل

المؤمن مثل: الحث على إنفاق المال في أوجه الخير مع الاعتدال والتوازن المطلوب لاجتناب الشح والإسراف.

قال تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30)) كما تأتي الآيات بطمأنة المؤمن أن الرزق مكفول بيد الله عز وجل فلا يخشى الفقر ولا يدفعه لقتل فلذات أكباده وكم نرى من حوادث قتل من حولنا بسبب الفقر وضيق سعة اليد؟! ولو تأملنا عظمة هذه الآيات ودورها في تقوية النفس ودعمها والشد من أزرها لكفت ووفت قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31)) كما تهتم الآيات بملامح شخصية المؤمن الحقة وما ينبغي أن يتحلى به من خصال وأن يكون عليه من صفات وسجايا منها البعد عن الكبائر والفواحش كالزنا وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وعدم الإسراف في القصاص والحفاظ على أموال اليتامى وإقامة العدل وتحكيمه في كل شؤونه والكيل بالقسطاس المستقيم. كما تحيط المؤمن علماً بمسؤولياته الكاملة تجاه جوارحه فلا يدعي المعرفة والدراية بما لم يرَه أو يسمعه أو يعلمه فضلاً عن الحرص على التواضع كسمة من سمات المؤمن فلا يمشي مختالاً ومتعالياً. قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (33) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)

كما تتضمن الآيات حقيقة العقيدة الإسلامية وجوهر التوحيد ودعائم الرسالة المحمدية الشاملة والخشية من الله ودعوته بأسمائه الحسنى وذلك في قوله تعالى: (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (109) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (110) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)).

أما الآيات التي دائماً ما تشعل شجني وتداعب عقلي حينما أتأمل مغزاها فهي التي تحمل ذلك التصوير العبقري والفريد لمشاهد يوم القيامة في قوله

تعالى في سورة البقرة: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)). تأمل معي مشاهد الجبارين في الأرض من سادة وكبراء ورؤساء وملوك أو حتى مديرين وهم يفرون من متبوعيهم ومنافقيهم الذين رفعوهم لعنان السماء وجعلوهم في مرتبة القداسة بل وأشركوا في عبادتهم مع الله في الدنيا خوفاً وطمعاً فأين هم يوم الحساب من جبروت جبار السماوات والأرض وعذابه؟! هل يملكون من أمرهم شيئاً ليدافعوا عنهم؟! وقد كانوا أصحاب سيادة ونفوذ بالأمس ولكن من يتدبر ومن يخشى الله في الدنيا ولا ينافق ولا يداهن ولا يطع أحداً أبداً في معصية الله.

وكذلك دائماً ما تلاحق مخيلتي مشاهد الفرار في سورة عبس والتي تهتز لها القلوب وتقشعر منها الأبدان، إذ لم أكن أتصور أن أراها رأي العين وأنا لازلت في الدنيا. قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40))

مشاهد رأيتها تتحقق في دنيانا عن كثب وقت جائحة كوفيد -19 فالكل عيونه زائغة خائف على نفسه وشعاره "نفسي نفسي" والأخ يخشى اقتراب أخيه منه ويتحاشاه خشية أن يبادره بالسلام أو المصافحة.. والأهل يبتعدون عن ذويهم بمجرد أن يعرفوا أن أحدهم أصابه الفيروس. بيوت العبادة التي تجمع المؤمنين مقفلة.. تباعد إجباري في الصلاة.. الزوج يرفض استقبال زوجته المريضة بكوفيد 19 وقد عاشرته عمراً خوفاً على حياته والعكس أيضاً، والأبناء يرفضون رعاية أمهم المريضة بكوفيد -19 أو استلام جثمانها المسجى بعد وفاتها بالفيروس اللعين فيصلي عليها طاقم المستشفى أو لا يصلون وتوارى الثرى في جنح الظلام.. والقرى تثور ضد دفن موتى كوفيد خشية العدوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

****

المراجع والمصادر

1- كتاب أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي للدكتور جمال الدين الشيال.
2- كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون للدكتورة سعاد ماهر محمد.
3- كتاب الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك
4- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصّفديّ.
5- كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة (جزئين) لمحمد فتحي عبد العال.
6- كتاب عصر إسماعيل (جزئين) لعبد الرحمن الرافعي.
7- شوارع لها تاريخ سياحة في عقل الأمة لعباس الطرابيلي.
8- هوامش المقريزي حكايات من مصر لصلاح عيسى.
9- دور النساء في الخلافة العباسية لأمل محي الدين الكردي.
10- الويكبيديا العربية.
11- معجم رمضان لفؤاد مرسي .
12- موسوعة الدرر السنية مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة.
13- كتاب القاهرة وما فيها لمكاوي سعيد

14-العديد من الصحف المصرية مشار لها في مواضعها بالكتاب .

15-الصفحة الرسمية لموقع الملك فاروق الأول على الفيس بوك.

16-كتاب الشرقية ذاكرة الشوارع وحكايات المدن للدكتور عمرو عبد العزيز منير.

17-قائمة مؤلفات الدكتور محمد فتحي عبد العال وتزيد عن أربعين كتاباً في شتى حقول المعرفة.

****

السيرة الذاتية للكاتب

د. محمد فتحي عبد العال

من مواليد الزقازيق محافظة الشرقية بمصر عام 1982

المؤهلات العلمية:

1-بكالوريوس صيدلة جامعة الزقازيق 2004.

2-دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجيا التطبيقية جامعة الزقازيق 2006 .

3-ماجستير في الكيمياء الحيوية جامعة الزقازيق 2014.

4-دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية 2017 .

5-شهادة إعداد الدعاة من المركز الثقافي الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف 2017.

6-دبلوم مهني في إدارة الجودة الطبية الشاملة من أكاديمية السادات للعلوم الإدارية 2017.

المؤلفات الفكرية:

1- كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة - دار الميدان للنشر والتوزيع في جزئين2019و2020 .

2- كتاب مرآة التاريخ-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2020 .
3- كتاب على هامش التاريخ والأدب -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.
4- كتاب جائحة العصر (الجزء الأول)- دار النيل والفرات للنشر 2020 .
5- كتاب حكايات الأمثال -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع2021.
6- كتاب فانتازيا الجائحة-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.
7- كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022 .
8- كتاب حكايات من بحور التاريخ -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.
9- كتاب حواديت المحروسة - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.
10- كتاب من سجايا رمضان أسماء الله الحسنى- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.
11- كتاب تانزاكو السعادة - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.
12- كتاب على مقهى الأربعين- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.
13- كتاب نوستالجيا الواقع والأوهام- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.
14- كتاب تاريخ حائر بين بان وآن - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

15- كتاب صفحات من التاريخ الإسلامي دروس وعبر- دار الوهيبي للنشر والطبع والتوزيع والإنتاج الفني والإعلامي -ابن معيط للطباعة 2023.

16- كتاب سبحات في عوالم كوفيد 19 الخفية - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

الروايات والمجموعات القصصية:

1-رواية ساعة عدل-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2020.

2-رواية خريف الأندلس- دار لوتس للنشر الحر 2021

3-المجموعة القصصية في فلك الحكايات -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

4-المجموعة القصصية حتى يحبك الله-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

5-مسرحية أقدام على جسر الشوك - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

وقد شاركت الكتب بمعارض القاهرة والإسكندرية والسودان واسطنبول وعمان وتونس والمغرب والجزائر والعراق .

الكتب الالكترونية:

1-كتاب نسائم القلب (*هايكو*)

وقد ترجمت كتاباته إلى عدة لغات أجنبية هي *الإنجليزية* والفرنسية *والإيطالية والصينية واليابانية والروسية واليونانية والعبرية والتركية والفارسية والتشيكية والألمانية.*

المشاركات في كتب جماعية:

أولاً: في مجال الكتب العلمية:

1-المشاركة في كتاب الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي الصادر عن المركز الديموقراطي العربي ببرلين بألمانيا ببحث تحت عنوان "جائحة كورونا خيارات علاجية"**2020** .

2- المشاركة بمقال علمي تحت عنوان "نحو علاج ناجع لفيروس كوفيد **19**" في الكراس العلمي الالكتروني لكلية النسور الجامعة بالعراق "مقالات تثقيفية خاصة بكوفيد **19**"**2021**.

3-المشاركة ببحث في الكتاب الجماعي الرابع لسلسلة الدراسات الاجتماعية -مجتمع الكورونا إلى أين التداعيات والرهانات الصادر عن مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانيه لجامعة **20** أوت **1955** سكيكدة الجزائر **2022**.

ثانياً: المشاركة في كتب جماعية في مجال القصة القصيرة والمقال :

1- كتاب ديوان العرب الجزء الثالث (المقال)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2020.

2-كتاب اقلام عابرة (قصص قصيرة)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

3-كتاب صليل الحروف موسوعة أدبية الجزء الثاني (قصص قصيرة) -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

4-كتاب سفراء الدهشة (قصص) -دار يسطرون للطباعة والنشر 2022.

5-كتاب قصتي لك (قصص قصيرة) -دار كيانك للنشر والتوزيع 2022.

6-كتاب على جناح الحلم (قصص قصيرة) دار لوتس للنشر الحر 2021.

7-كتاب حينما نطرق الأبواب (مقالات) دار لوتس للنشر الحر 2022.

8-كتاب افتراضي (قصص قصيرة) تحت اشراف دكتور عصام محمود استاذ النقد الأدبي جامعة حلوان -دار السعيد للنشر والتوزيع 2022.

9-الكتاب الذهبي مئة قصة لمئة مبدع من 11 دولة -مؤسسة روز اليوسف 2021.

10-كتاب دفتر وقلم شموع عربية الجزء الثاني -دار جين للنشر والتوزيع-ليبيا

11-من ابداعات الملتقى قصص قصيرة -دار الملتقى للنشر والتوزيع2020.

12-نقطة ومن أول الشغف-دار الزيات للنشر والتوزيع 2023.

الجوائز والتكريمات التي حصل عليها:

1-صيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية 2017 .

2-صيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية 2015 ودرعي نقابة صيادلة الشرقية ونقابة صيادلة مصر.

2-درع ملتقى ابن النيل الأدبي في القصة القصيرة 2021.

3-شهادة تكريم ضمن الفائزين في مسابقة القصة القصيرة من مؤسسة روز اليوسف "مائة قصة لمئة مبدع من 11 دولة" في كتابها الذهبي 2021 .

4-شهادة تقدير من نقابة صيادلة الجيزة ولجنة الثقافة والإبداع ضمن فاعليات مهرجان الابداع الصيدلي الخامس2021.

5-درع التميز والابداع من مجلة امارجي العراقية 2018.

6-شهادة تقدير من مهرجان الإبداع والمبدعين العرب في دورته الخامسة تحت رعاية دار جين للنشر والتوزيع بمدينة البيضاء في ليبيا في ديسمبر 2020.

7- شهادة تقدير من نقابة صيادلة القليوبية ولجنة الثقافة والإبداع ضمن فاعليات مهرجان الإبداع الصيدلي السادس2022.

الحوارات واللقاءات:

1-لقاءات مع التليفزيون المصري برنامجي بالريشة والقلم وأنا من البلد دي.

2-لقاءات مع الإذاعة الفرنسية راديو مونت كارلو والإذاعة المصرية.

بالإضافة لعدد من اللقاءات الصحفية والإذاعية الأخرى.

المناصب التي شغلها:

1-رئيس قسم الجودة بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقا.

2- صيدلي ومسؤول إدارة المخاطر وسلامة المرضى ومؤشرات الأداء بمستشفى الفلاح الدولي بالرياض سابقا

3-كاتب وباحث وروائي مصري

النشر الصحفي والمقالات بصحف عربية ودولية:

1-الأهرام -الأهرام المسائي -روز اليوسف -الزمان -العروبة -الجمهورية

2-الجزائر: صوت الاحرار -الجديد-كواليس -الأمة العربية -الجمهورية

3-ليبيا: فيسانيا - صدى المستقبل

4-صحف للجاليات العربية بالغرب: أيام كندية بكندا وصوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية

5-العراق: الموقف الرابع-مجلة المرآيا-بانوراما شباب-الصباح - الدستور-البينة الجديدة

الموسوعات التي ورد ذكر سيرته وإسهاماته بها بين عامي 2019-2021:

1-موسوعة صحفيون بين جيلين -الجزء الثاني إعداد صادق فرج التميمي- العراق

2-مجموعة من أدباء العرب شهريار في بغداد سير ونصوص اعداد د.زينب السوداني وعبد الزهرة عمارة -إصدارات أمارجي الأدبية العراق .

3-الفيصليون ومايسطرون سجنوه في كتاب-إصدارات الفيصل -باريس .

4-دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب الإصدار الثالث إعداد الشاعر محمد صوالحة والروائي محمد فتحي المقداد- الأردن .

5-الموسوعة الحديثة للشعراء والأدباء العرب الجزءان الخامس والثامن عن دار الرضا للنشر والتوزيع ودار الجندي للنشر والتوزيع- مصر .

كتب نقدية تناولت أعماله:

كتاب المغايرة والتجريب في السرد الروائي قراءات نقدية لروائيين عراقيين وعرب للأستاذ غانم عمران المعموري-دار أمارجي للطباعة والنشر.

****

محتويات الكتاب



رحلة ثرية على أعتاب سير وأخبار الأقدمين

رواق القصص الرمضاني

د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى

1444 هـ 2023 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

00201030502390

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com